

إن كنتَ تبحث عن جداول جاهزة تُعلِّقها على الحائط لتشعر أنك تقدّمت... فهذا الكتاب ليس لك.

وإن كنتَ تبحث عن مخططات دقيقة لإدارة الوقت وتُقسِّم الساعات دون أن تسأل أين يذهب القلب... فهذا الكتاب ليس لك.

وإن كنتَ تريد وصفة سريعة تُطبّقها ثم تطمئن أنك أدّيت ما عليك دون أن يتغيّر فيك شيء... فهذا الكتاب ليس لك.

وإن كنتَ تنتظر برنامجًا يُريح الضَّمير أكثر مما يُوقظ الوعي... فهذا الكتاب ليس لك.

وإن كنتَ تقيس القُرب من الله بعدد الختمات لا بعمق الأثر... فهذا الكتاب ليس لك.

وإن كنتَ ترى العبادة سباق إنجاز لا رحلة تزكية... فهذا الكتاب ليس لك.

وإن كنتَ تهرب إلى كثرة العمل كي لا تواجه خلل النِّية وضعف الصِّدق... فهذا الكتاب ليس لك.

وإن كنتَ تريد كلامًا يُحمّسك أيامًا ثم يتركك كما أنت بعد الموسم... فهذا الكتاب ليس لك.

وإن كنتَ تبحث عمّا يُكثِّر أفعالك دون أن يُربك أسئلتك... فهذا الكتاب ليس لك.

وإن كنتَ تريد كتابًا يُجاملك، لا يُحاسبك، ويُرضيك، لا يُوقظك... فهذا الكتاب ليس لك.

أمّا إن كنتَ تريد أن تفهم أولًا،

وتصدق مع نفسك ثانيًا،

ثم تفعل على بصيرة لا على وهم...

فهذا الكتاب لك

قبل أن نحصِد... كيف نُصلح التُّربة؟

الزَّرع قبل الصيام: تهيئة القلب قبل الطاعة

يخاطب فئة أرهقتها الجداول، وأتعبها العدّ، وخذلها الوهم

هذا الكتاب ليس برنامجًا تعبديًا يُقاس بالالتزام الشكلي، ولا دليل إنجازٍ موسميّ تُلاحَق فيه النتائج، بل محاولة تربوية متواضعة لإعادة وضع المواسم الإيمانية في مواضعها الصحيحة، وردّ العمل إلى أصله، والقلب إلى مقامه، والعبد إلى حال الافتقار الصادق بين يدي ربّه.

ينطلق هذا الكتاب من حقيقةٍ جامعة، وهي أن رجب وشعبان ورمضان ليست ثلاثة أشهر متجاورة في التقويم، بل مسارًا واحدًا في السير إلى الله تعالى:

١. يبدأ بالكشف والصدق،

٢. ثم يمرّ بالتثبيت والحراسة،

٣. وينتهي بالتسليم والتفويض،

وأن الفصل بينها يُضعف الأثر، ولو صَحَّ ظاهر العمل وكثُر.

لا يَعِد هذا الكتاب بتغييرٍ مضمون، ولا بأثرٍ عاجل، ولا بتحوّلٍ شعوريّ دائم، فالهداية فضلٌ من الله وحده، والقبول محض كرمٍ منه سبحانه، وإنما يدعو إلى وعيٍ صادق، ومجاهدةٍ هادئة، وتصحيحٍ للوجهة، رجاء أن يفتح الله بها بابًا، أو يُصلِح بها خللًا، أو يرزق بها قبولًا لا تُدرِكه الأبصار.

وما بعد هذه الصفحات ليس بينك وبين الكلمات، ولا بينك وبين الكاتب، بل بينك وبين الله تعالى، يفعل بك ما يشاء بعدله ورحمته، ويقبل منك ما يشاء بفضله، وهو سبحانه أعلم بصدقك، وأرحم بك من نفسك، وأكرم من أن يُضيّع عبدًا أقبل عليه بصدق.

١٦٦ص – ١٧* ٢٤ سم

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة –


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى القلوب التي أرهقها العملُ بلا ثمرة،
وإلى النفوس التي أخلصت في الطاعة، لكنها تعبت لأنها لم تُهَيِّئ الطريق إلى الله من الداخل،
إلى من أكثروا من المواسم، وقلّ عندهم الأثر،
إلى من دخلوا الطاعة بأجسادهم، وبقيت قلوبهم خارجها تنتظر،
إلى كل من ظنّ أن المشكلة في ضعف العبادة، ولم يُدرك أن الخلل كان في تربة القلب لا في البذرة،
إلى من يريد أن يعبد الله بوعيٍ لا بعادة، وبقلبٍ حيٍّ لا بجسدٍ متحرّك،
إلى من فهم متأخرًا أن الله لا يُطال بكثرة الخطوات، بل بصدق الوجهة،
إلى من يريد أن يصوم هذه المرة لا ليُتمّ الشهر، بل ليُصلِح القلب،
إلى كل باحثٍ عن أثرٍ يبقى بعد انقضاء الموسم،
أهدي هذا الكتاب...
علّه يكون مفتاح تهيئة، لا نشوة حماسة،
وبداية إصلاح، لا اندفاعًا مؤقتًا،
وخطوة صادقة في طريقٍ طويل، يبدأ من الداخل... ولا ينتهي عند موسم.

المقتبس الافتتاحي

لسنا نعاني من قلّة الطاعات، ولا من فقر المواسم،

بل من قلوبٍ تدخل العمل وهي مُتعَبة،

وتخرج منه كما دخلت...

لأنها لم تُصلِح التُّربة قبل أن تُلقي البّذرة،

ولم تُهيِّئ الداخل قبل أن تُكثِر من الخارج،

فكانت الطاعة صحيحة في صورتها،

ضعيفة في أثرها، موسمية في حضورها،

سريعة الذبول بعد انقضاء الزمان.

افتتاحية الكتاب

لسنا متأخّرين عن الحصاد، ولكننا كثيرًا ما نتجاهل التربة، وننتظر من المواسم ما لم نُعِد له القلوب، فنرجو من رمضان أن يُغيّرنا، ونغفل عن أن القلوب التي لم تُهذَّب قبل الطاعة، ولم تُراجَع قبل الإقبال، قد تدخل الموسم كما خرجت منه، بأعمالٍ أكثر، وأثرٍ أقل، لا لأن الطاعة لا تُصلِح، بل لأن محلّها لم يُهَيَّأ كما ينبغي.

لم يَعُد الإشكال في قلّة الطاعات، ولا في غياب المواسم، ولا في نقص الخطب والبرامج، بل في قلبٍ:

١. يدخل على العبادة وهو مُثقَلٌ بما لم يُحاسَب،
٢. ومُشوَّشٌ بما لم يُعالَج،
٣. ومُنهَكٌ بما أَلِفه حتى ظنّه جزءًا من طبيعته،

فيطلب من الصيام، ومن القيام، ومن الذكر، أن يُحدِث فيه ما لم يصدق هو مع الله في طلبه، ولم يواجه أسبابه، ولم يُسلِّم قياده قبل ذلك.

نحن لا نُخطئ حين نُحبّ رمضان، ولا حين نشتاق إليه، فذلك فضلٌ من الله، لكننا نُخطئ حين نُحمّله ما لم يُكلَّف به، وحين نطالبه بإصلاحٍ عميقٍ لم نتهيّأ له، ولم نُقدِّم بين يديه صدقًا سابقًا، ولا مواجهةً هادئة، ولا توبةً خفيّة، فالمواسم في منطق القرآن ليست خالقةً للقلوب من العدم، بل مواضع بركةٍ وتربية، يُنمّي الله فيها ما وُضِع من قبل، ويُبارك الصادقين بفضله، ويكشف المؤجَّل بعدله، ويُظهر الفرق بين من أعدّ نفسه للقاء، ومن اكتفى بانتظار النفحات دون استعداد.

من هنا لم يكن هذا الكلام دعوةً إلى زيادة الأعمال لذاتها، ولا سباقًا في الجداول، ولا برنامجًا رمضانيًا جديدًا يُضاف إلى رفّ النسيان، بل محاولة صادقة

للوقوف قبل الموسم، لا لنعدّ الأرقام، بل لنفحص الداخل، ولنردّ القلب إلى موضعه، ونسأل السؤال الذي نهرب منه غالبًا:

- بأيّ قلبٍ سندخل على الطاعة؟
- وأيّ تربة نرجو منها حصادًا مباركًا بإذن الله؟

إن إصلاح التربة يسبق الزرع، كما أن تهيئة القلب تسبق الطاعة، لا على معنى أن العبد يُصلِح نفسه استقلالًا، بل على معنى أن يصدق في الطلب، ويأخذ بالأسباب، ويُسلِّم الأمر لله، ومن ظنّ أن الصيام وحده يُغيّر كل شيء دون صدقٍ سابق، ومجاهدةٍ واعية، وتوبةٍ لا تُعلَن، فقد أساء فهم السُّنن، وحمّل العبادة ما لا تحتمل، وأرهق نفسه بانتظار نتائج لم تُبذَل أسبابها، ولم يُفوَّض أمرها إلى الله تعالى حقّ التفويض.

وهنا يبدأ الطريق، لا بالصوت العالي، ولا بالاندفاع، بل بالصدق، قبل أن نحصِد، وقبل أن نصوم، وقبل أن نطلب الأثر، نحتاج أن نتعلّم كيف نُصلِح التربة بقدر ما نستطيع، وكيف نتهيّأ للطاعة بقلوبٍ قابلةٍ للحياة، مستعدةٍ للتزكية، راجيةٍ القبول، لا بأجسادٍ تؤدّي وحسب، والله بعد ذلك يفعل بنا ما يشاء بفضله، ويُثمِر حيث يشاء، وكيف يشاء، وهو أرحم بنا من أنفسنا.

التمهيد: حين نُكثر الأعمال... ويقلّ الأثر

بسم الله الذي لا تُصلِح الطاعةُ قلبًا إلا بإذنه، ولا تُثمِر الأعمالُ إلا بتوفيقه، ولا تُفتح أبواب القرب بكثرة السَّعي وحدها، بل بصحّة الوجهة وصدق القصد، وبإقبال القلب على الله قبل حركة الجوارح...

والحمد لله الذي لم يكلّفنا ليُرهقنا، ولم يأمرنا ليحبسنا في الأشكال والصور، بل دعانا ليُحيي قلوبنا قبل أن يُحاسب أعمالنا، ويُزكّي بواطننا قبل أن يُقيم ظواهرنا..

والصلاة والسلام على محمدٍ ﷺ، الذي لم يُربِّ جيلًا بكثرة النوافل قبل تزكية الصدور، ولم يصنع أُمَّةً بالطقوس قبل بناء الإنسان، بل بدأ بالقلب فاستقامت الجوارح، وبدأ بالداخل فانصلح الخارج، فكان صلاح الظاهر ثمرةً لصلاح الباطن، لا بديلًا عنه.

ثم بعد...

لسنا نعيش أزمة قلّة طاعة، ولا فقر مواسم، ولا ندرة برامج، بل نعيش – في كثير من الأحيان –

← أزمة قلّة أثر،

← وغياب تحوّل،

← واضطراب ميزان،

نُكثِر الأعمال، ونُتقن صورها، ونُحسن عدّها، ثم نتعجّب لماذا لا يتغيّر شيء في الداخل، ولماذا نخرج من رمضان مثقلين بالتعب، خفيفي الثمرة، كأننا أدّينا واجبًا وانصرفنا، لا كأننا عولجنا، أو زُكِّينا، أو أُعيد ترتيب قلوبنا بين يدي الله.

الفكرة المحورية هنا ليست صادمة في ذاتها، لكنها صادقة في تشخيصها، وهي:

١. أنَّ تأخّرنا الحقيقي ليس في الطاعة، بل في إصلاح القلوب،

٢. وأنَّ الخلل ليس في رمضان، ولا في الصيام، ولا في القيام، بل في الداخل الذي ندخله به، في قلبٍ لم يُنقَّ من عوائقه، ولم يُهَيَّأ للاستقبال، ولم يُخلِ مساحته لله قبل أن يطلب الأثر من الله، فيُطالِب الثمرة قبل أن يصدق في تهيئة الأرض، ويستعجل النتيجة قبل أن يُسلِّم الوجهة.

نحن نزرع كثيرًا، لكن في تربةٍ مُتعَبة، ونستغرب ضعف الحصاد، ونطرق الأبواب، لكن بأيدٍ مشغولة بغير الله، ونستبطئ الفتح، ونطلب التغيير من الخارج، وننسى أن الله – في سننه – يبدأ دائمًا من الداخل، وأن العمل:

- إذا لم يُبنَ على قلبٍ حيٍّ صار عِبئًا،
- وإذا لم يُسبَق بتزكية صار عادة،
- وإذا لم يُرافقه وعي صار موسمًا ينقضي، لا أثرًا يبقى.

وهذا التمهيد ليس دعوةً إلى ترك العمل، ولا تبريرًا للتقصير، ولا تقليلًا من شأن الطاعات، بل هو تصحيحٌ لمسارٍ اختلطت فيه الوسائل بالغايات، وانقلب فيه الحرص على العبادة إلى سباق صورةٍ بلا ثمرة، فكان لا بدّ من خطوةٍ إلى الوراء، لا تراجعًا عن الطريق، بل إصلاحًا لأساسه، حتى نُقبِل على الطاعة

- بقلوبٍ قابلةٍ للحياة،
- صادقةٍ في الطلب،
- راجيةٍ للقبول،

فنُصلِح التربة قبل أن نطلب الحصاد، ونأخذ بالأسباب، ثم نُسلِّم النتائج لله، وهو سبحانه أعلم بصدقنا، وأرحم بنا من أنفسنا.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا الكتاب لم يُكتب ليُضيف عبادةً جديدة إلى جدولٍ مزدحم، ولا ليُذكِّرك بما تعرفه أصلًا من فضل الصيام وسائر الطاعات، ولا ليشحذ همّةً موسمية سرعان ما تخبو، بل كُتب لأن سؤالًا مؤلمًا يتردّد في القلوب الصادقة عامًا بعد عام:

← لماذا نُكثِر الطاعة، ونبذل الجهد، ثم لا نرى في الداخل من التغيّر ما كنّا نرجوه؟..

كثيرون يدخلون المواسم وهم صادقون في أصل القصد، يصومون، ويقومون، ويجتهدون، ويجاهدون أنفسهم، ثم يخرجون بشيءٍ من الراحة أو الانضباط، لكن دون التحوّل العميق الذي تمنَّوه، ودون الأثر الباقي الذي يرجونه من فضل الله،

١. فيظنّ بعضهم أن الخلل في ضعف الهمّة،
٢. ويظنّ آخرون أن المشكلة في قسوة الواقع أو ثقل الحياة،
٣. ويُحمِّل فريقٌ ثالث نفسه فوق طاقتها،
٤. ويقلّ من يتوقّف ليتأمّل السؤال الأصعب والأصدق: هل كان القلب مُهَيَّأً أصلًا لما طُلِب منه، وهل وُضِعت الطاعة في موضعها الصحيح من النفس؟

هذا الكتاب يقترح أن نعود خطوةً إلى الوراء، لا لنؤجّل الطاعة، ولا لنُخفِّف من شأنها، بل لنفهمها على وجهها، ولا لنُقلِّل من العمل، بل لنُحسِن زرعه، فالله سبحانه لا ينظر إلى كثرة الصور ولا إلى وفرة الحركات، بل إلى صدق القلوب التي تحملها، ولا يُبارك في الجهد إذا كان الداخل مزدحمًا بما يُعطِّل أثره، مشغولًا بما يُزاحم المقصد، أو مثقلًا بما لم يُراجَع ولم يُعالَج.

سأحاول في هذه الصفحات أن ننظر إلى الطاعة من زاويةٍ كثيرًا ما تُهمَل،

زاوية ما قبل العمل، وما قبل الصيام، وما قبل الاندفاع، حيث تُصنع النِّيَّة، وتُهَيَّأ التربة، وتُزال – بقدر الاستطاعة – العوائق الخفية التي تجعل العمل ثقيلًا، والأثر ضعيفًا، مع التسليم أن التوفيق والقبول بيد الله وحده، يؤتيه من يشاء، متى شاء، وعلى الوجه الذي يشاء.

وهذه الصفحات ليست خطابَ اتهام، ولا ميزانَ مقارنة بين الناس، ولا دعوى تفوّقٍ أو وصاية، بل وقفة صدق مع النفس، ورسالة هادئة تقول: لعلّنا لا نحتاج أن نعمل أكثر، بقدر ما نحتاج أن ندخل العمل بقلوبٍ أصلح، أصدق، وأقرب إلى مقام الافتقار، ثم نترك بعد ذلك لله تمام الأثر، فهو أعلم بالقلوب، وأرحم بالعباد، وأكرم من أن يُضيّع صدق من أقبل عليه.

والله ولي التوفيق.

✍المؤلف: دريد إبراهيم الموصلي

التاريخ: ٢٠٢٥/١٢/٢٢

الفكرة المركزية الموسَّعة

هذا الكتاب يقوم على فكرةٍ واحدة في أصلها، وإن كانت كثيرًا ما تُغفَل في زحمة المواسم وكثرة الأعمال، وهي أن الطاعة لا تُثمِر بقوتها الذاتية، ولا بكونها طاعةً مجردة، بل بتوفيق الله أولًا، ثم بقلبٍ استقبلها كما ينبغي، وأن الله سبحانه لا ينظر إلى عدد ما أُدِّي من الأعمال نظر إحصاءٍ مجرّد، بل ينظر إلى القلوب التي حملتها، وما أحدثه ذلك العمل — بإذنه — في الداخل من حياةٍ أو غفلة، ومن قربٍ أو اعتياد، ومن تزكيةٍ أو مجرّد تكرار.

لسنا متأخرين لأننا قصّرنا في الصيام، ولا لأننا أهملنا القيام، ولا لأننا فرّطنا في الذكر والدعاء، فهذه أعمالٌ عظيمة في ذاتها، لكن تأخّر الأثر في كثيرٍ من الأحيان يكون لأننا:

← ندخل الطاعة بقلوبٍ مثقلة،

← مزدحمة بالشهوات،

← أو بالضغائن،

← أو بالتعلّقات،

← أو بتصوّراتٍ غير منضبطة عن الله وعن أنفسنا،

فنحمّل العمل ما لا يُعطيه بذاته، وننسى أن ثماره لا تنضج إلا بصدق القصد، وبذل الجهد، والرضا بما يقدّره الله في النهاية.

- رمضان ليس آلة تغييرٍ آلية،
- ولا الصيام عصًا سحرية،
- ولا المواسم ضمانة تحوّلٍ تلقائي،

بل هي فرصٌ يفتحها الله لعباده، يرحم بها من يشاء، ويُبارك فيها من صدق، وهذه الفرص لا تُثمِر إلا إذا وُضِعت — بإذن الله — في تربةٍ صالحة، وإلا

خرجت منها نتائج جزئية، أو آثار مؤقتة، سرعان ما تذبل بانقضاء الزمان، لا لقصور في العبادة، بل لقصور في الاستعداد.

وهذا الكتاب...

١. لا يدعو إلى تأجيل الطاعة بحجّة التهيئة،

٢. ولا إلى انتظار الكمال قبل العمل،

٣. ولا إلى تعليق السير حتى يصفو القلب تمامًا،

بل يدعو إلى فهمٍ متوازن يقول: ابدأ العمل امتثالًا، وأنت في الوقت نفسه تُصلِح القلب ما استطعت، وتجاهد في إزالة ما يُعطِّل الأثر، وتسأل الله الإعانة والقبول، فالله سبحانه يريد من عبده قلبًا حيًّا يسير إليه بصدق، لا جسدًا مُتعَبًا يركض كثيرًا في اتجاهٍ غير مستقيم.

فالزرع الحقيقي يبدأ قبل الصيام، حين نُصحِّح النِّيَّة، ونُخفِّف ازدحام الداخل، ونُعيد ترتيب علاقتنا بالله على أساس العبودية والافتقار، حتى إذا جاء العمل

← جاء بإذن الله ليُحيي ولا يُرهِق،

← وليُزكّي ولا يُكرّر،

← وليكون طريق قربٍ وثبات، لا موسم جهدٍ ينقضي أثره بانقضاء أيامه.

أهداف الكتاب

- يهدف هذا الكتاب إلى إعادة ترتيب زاوية النظر إلى الطاعة، وإخراج القارئ من وهمٍ شائع يرى أن المشكلة دائمًا في قلّة الجهد أو ضعف الهمّة، إلى وعيٍ أعمق يُدرك أن الخلل – في كثير من الأحيان – إنما يكون في القلب الذي يعمل، وفي الوجهة التي يتوجّه بها، وفي الاستعداد الذي يسبق الفعل.
- ويهدف إلى تنبيه القارئ إلى الفارق بين كثرة العمل وعمق الأثر، وكشف العوائق القلبية الخفية التي قد تُفرغ الطاعات من ثمرتها مع صحّة صورتها، وإعادة الاعتبار لمرحلة ما قبل الطاعة بوصفها مرحلة تأسيسٍ ضرورية لا ترفًا تربويًا زائدًا، وتصحيح التصوّرات الشائعة عن المواسم التعبدية التي تُعامَل أحيانًا بوصفها ضمانات تحوّلٍ تلقائي، ومساعدة القارئ على الدخول إلى الصيام بوعيٍ ومقصدٍ لا بمجرد عادةٍ متكرّرة، وتحويل العبادة من ممارسة موسمية منقطعة الأثر إلى مسار إصلاحٍ داخلي ممتدّ، وغرس سؤال الأثر في قلب كل عمل، لا الاقتصار على سؤال العدد أو الكثرة.

وليس هدف هذا الكتاب أن يُثقل القارئ بقائمةٍ جديدة من الأعمال، ولا أن يضيف عبئًا آخر إلى ما يحمله أصلًا، بل أن يُخفّف عنه ما أثقل قلبه وهو يعمل، حتى تكون الطاعة هذه المرّة – بإذن الله – طريق شفاءٍ وتزكية، لا عبئًا جديدًا يُضاف إلى قائمة الواجبات.

لماذا لم يعد السؤال: كم عملنا؟ بل: كيف دخلنا؟

← لأن التجربة تكرّرت أكثر مما ينبغي،

← ولأن القلوب الصادقة تعبت من حساباتٍ دقيقة لا تُشبه نتائجها،

← ولأننا رأينا بأعيننا أناسًا أكثروا العمل، وأتقنوا صوره، وحافظوا على مواسمه، ثم خرجوا منه بلا تحوّلٍ حقيقي، لا لقصورٍ في أصل الطاعة، بل لخللٍ في محلّها، **كان لا بدّ أن يتغيّر السؤال.**

لم يعد السؤال الصادق هو:

١. **كم صمنا؟**

٢. **وكم قمنا؟**

٣. **وكم ختمنا؟**

فهذه أسئلة مشروعة في موضعها، لكنها لم تعد كافية وحدها، بل صار السؤال الأعمق والأصدق:

١. **بأيّ قلبٍ دخلنا الصيام؟**

٢. **وبأيّ نفسٍ وقفنا بين يدي الله؟**

٣. **وبأيّ تصوّرٍ عن الله، وعن أنفسنا، وعن معنى الطاعة، بدأنا السير؟**

← السؤال الأول عدديّ يُطمئن الضمير ويُسكِّن القلق،

← أمّا السؤال الثاني فوجوديّ، يُقلق القلب لأنه يُطالبه بالتغيير، ويضعه أمام حقيقة الوجهة لا صورة العمل.

- كثرة العمل لا تُنقِذ القلب إذا كان الداخل مُعطَّلًا،
- ولا تُصلِح النفس إذا كانت النِّيَّة مشوَّشة،
- ولا تُغيّر المسار إذا كان الاتجاه من الأصل غير واضح،

فليس العمل وحده هو الذي يُثمِر، ولا الطاعة تعمل في فراغ، ولا يُؤذَن للأثر

أن يظهر في قلبٍ لم يفتح لها بابه، ولم يتهيّأ لاستقبالها، **ولم يُسلِّم أمره لله**.

دخل كثيرٌ منّا الطاعة وهو مثقلٌ بتعلّقاته، أو محمّلٌ بغضبه، أو مُرهَقٌ من داخله، أو مشغولٌ بإثبات ذاته، أو يطلب من العبادة أن تُسكِّن الألم دون أن يُغيّر أسبابه، فكانت النتيجة عملًا صحيحًا في صورته، ضعيفًا في أثره، سريع الانطفاء بعد انقضاء الموسم، لا لخللٍ في العبادة، بل لغياب الاستعداد.

لهذا تغيّر السؤال، لا لأن السؤال القديم باطل، بل لأنه لم يعد وحده كافيًا،

← فالله سبحانه لا يسأل عبده عمّا فعله فحسب، بل عن حاله وهو يفعل،

← ولا ينظر إلى عدد الخطوات وحده، بل إلى صدق الوجهة التي وُجِّهت إليه، وإلى القلب الذي حمل العمل بين يديه.

كيف دخلنا؟

١. هل دخلنا الطاعة هربًا من الذنب، أم شوقًا إلى الله؟

٢. هل دخلناها عادةً موروثة، أم اختيارًا واعيًا؟

٣. هل دخلناها نطلب راحةً سريعة، أم تزكيةً عميقة؟

٤. وهل دخلناها ونحن نحمل في قلوبنا ما يُعطِّل الأثر، ثم ننتظر تغيّرًا خارقًا لم تُبذَل أسبابه؟

حين يتغيّر سؤال الدخول، يتغيّر معنى العمل، ويتحوّل الصيام – بإذن الله – من تحمّلٍ ثقيل إلى عبورٍ مُغيِّر، وتغدو الطاعة لقاءً لا مجرّد مهمة، وطريق إصلاحٍ لا سباق أرقام.

وهذا لم يعد السؤال الذي يُنقِذ: كم عملنا؟ بل السؤال الذي لا مفرّ منه، ولا غنى عنه: كيف دخلنا، وبأيّ قلبٍ وقفنا على الباب؟

كيف تحوّل الاستعداد لرمضان إلى طقوس شكلية تُريح الضَّمير ولا تُغيّر المسار

لم يحدث هذا فجأة، ولم يأتِ دفعة واحدة، بل تراكم بصمتٍ طويل...

١. حين انفصل الاستعداد عن المقصد،
٢. وحين صار التحضير للموسم في الوعي الجمعي بديلًا عن الدخول الصادق فيه، فاستراح الضمير، بينما بقي القلب على حاله.

صرنا نستعدّ لرمضان كما يُستعدّ لأي مناسبة...

← نُرتّب الجداول،
← ونُحدِّد الأهداف الرقمية،
← ونُعدّ القوائم والخطط،

فنخرج بإحساسٍ مريح أننا "جاهزون"، بينما القلب لم يُسأل أصلًا:

١. هل أنت مستعد للوقوف بين يدي الله،
٢. وهل أُزيل عنك ما يُعطِّل القرب،
٣. وهل صَحَّت وجهتك قبل أن تبدأ الحركة؟

الطقس الشكلي يُطمئن الضمير لأنه يمنح شعور الإنجاز السريع، لكنه لا يُغيّر الاتجاه، ولا يُلامس الجذور، ولا يُهيّئ محلّ الأثر، فنبدأ الشهر ونحن نُكرِّر ما اعتدناه، ثم نتعجّب لماذا تتشابه النهايات، ولماذا تتكرّر الخيبات مع اختلاف البرامج.

- تحوّل الاستعداد عند كثيرين إلى إدارة وقت لا إلى إصلاح قلب،
- وإلى ترتيب برنامج لا إلى مراجعة وجهة،
- وإلى حماسة مؤقّتة لا إلى وعيٍ طويل النفس،

فصار الجهد منصبًّا على الخارج، بينما الداخل باقٍ على ازدحامه وتشويشه.

← نستعدّ للصيام من حيث الشكل، ولا نستعدّ لمواجهة ما في الداخل من تعلّقاتٍ أو خصوماتٍ أو عاداتٍ مُعطِّلة،

← ونُهيّئ جداول العبادات، ولا نُهيّئ القلوب مما يُزاحم الله فيها،

← ونخطّط لزيادة الذكر، ولا نسأل السؤال الحاسم: **ما الذي يُطفئ هذا الذكر بعد أيام، وما الذي لم يُعالَج أصلًا؟**

وهكذا يدخل رمضان بقوّته وبركته، ويخرج كثيرٌ منّا ونحن كما نحن، لا لأن الشهر لم يُبارَك، ولا لأن العبادة قصّرت، بل لأن الاستعداد كان خارجيًا، والتغيير – في سنن الله – يبدأ دائمًا من الداخل، وبقدر ما يُهيَّأ له.

ليس الخلل في النّيات الحسنة، ولا في الرغبة الصادقة، ولا في محبة الخير، بل في اختزال الاستعداد إلى طقوس تُشبه التهيئة النفسية أكثر مما تُشبه التوبة الواعية، تُخفّف تأنيب الضمير، لكنها لا تفتح باب التحوّل، ولا تُحدِث النقلة المطلوبة.

فالاستعداد الحقيقي لا يُقاس بما أعددته من برامج، ولا بما رسمته من جداول، بل بما أزلته من عوائق، ولا بما نويت أن تزيده من أعمال، بل بما قرّرت أن تتخلّى عنه من موانع، ولا بما ستفعله في رمضان، بل بمن ستكون عليه حين يبدأ، مع التسليم أن التوفيق والقبول بيد الله وحده.

ولهذا لا يكفي أن نقول: نحن مستعدّون، بل لا بدّ أن نسأل السؤال الأصعب والأصدق:

هل هذا الاستعداد – إن صدق – سيُغيِّر مساري بإذن الله، أم أنه لا يتجاوز كونه وسيلةً لراحة الضَّمير؟

التوبة المؤجَّلة: لماذا نُرحِّل إصلاح القلب إلى داخل الموسم؟

لأن المواسم صارت عند كثيرين مخازن أملٍ مؤجَّل...

١. نُعلِّق عليها ما لا نجرؤ على مواجهته الآن،
٢. ونُقنِع أنفسنا أن الزمن القادم أصلح للتغيير من اللحظة الحاضرة،
٣. فنُرجِئ المواجهة باسم الحكمة،
٤. ونؤخِّر التوبة باسم الاستعداد،
٥. بينما الحقيقة أن القلب هو الذي يؤجِّل، لا الزمن.

نؤجِّل التوبة لا لأننا نجهل معناها، ولا لأننا لا نعرف طريقها، بل لأن مواجهتها ثقيلة على النفس، تحتاج شجاعة اعترافٍ لا نحبّها، وقطع تعلّقٍ ألفناه، وتخلّيًا عن أعذارٍ اعتدنا الاتكاء عليها، فنبحث عن زمنٍ "**مقدّس**" نربط به التوبة، لا لأنَّ الله اشترطه، بل لأننا نرجو أن يخفّف وطأتها على قلوبنا.

نقول: حين يأتي رمضان...

← وكأنَّ القلب لا يُصلَح إلا في المواسم،
← وكأنَّ الله تعالى لا يُطلَب إلا في أوقاتٍ مخصوصة،
← وكأنَّ باب الرجوع لا يُفتَح إلا إذا تغيّر التاريخ،

مع أن الله سبحانه قريبٌ في كل وقت، يقبل التائبين متى صدقوا، ويغفر للعائدين متى رجعوا، ولا يحجز رحمته عن عبدٍ أقبل عليه في أي حين.

نُرحِّل إصلاح القلب..

← لأننا نخشى الفراغ الذي يتركه الذنب حين يُقلَع،
← ونخاف أن ننقطع عمّا اعتدناه دون بديلٍ واضح،
← فنؤجِّل القرار الصعب،
← ونستبدله بنيّةٍ مؤجَّلة تُسكِّن الضمير،

← لكنها لا تُغيِّر الواقع، ولا تُحدِث التحوّل.

لكن المشكلة أن التوبة المؤجَّلة غالبًا ما تدخل الموسم مُثقَلة،

١. تبدأ الصيام وهي متعبة،

٢. وتدخل الطاعة وهي مشغولة بإدارة الذنب بدل التفرّغ لله،

٣. فتضيع الأيام الأولى في شدٍّ وجذبٍ داخلي،

٤. ومساومةٍ صامتة، بدل أن تكون انطلاقة صدقٍ وإقبال.

❖ والله سبحانه وتعالى لا ينتظر موسمًا ليقبل العائدين،

❖ ولا يشترط زمنًا ليغفر للتائبين،

❖ ولا يجعل القبول رهين تقويمٍ أو مناسبة،

وإنما يفتح الباب لمن صدق في الرجوع، وأخذ بأسبابه، وسأل التوفيق منه، فالقلب لا يتغيّر لمجرّد أن التاريخ تغيّر، بل لأن الله وفّق عبدًا لصدق القرار، وأعانه عليه.

وحين نؤجِّل إصلاح القلب...

١. نُحمِّل الموسم ما لا يحتمل،

٢. ونطلب من الصيام أن يفعل ما كان ينبغي أن نبدأ به قبل أن يبدأ،

٣. فنستنزف الفرصة بدل أن نُثمِرها، ونخرج مثقلين بدل أن نخرج أخفّ.

فالتوبة ليست بندًا في برنامج، ولا خطوة افتتاحية في جدول، بل موقفٌ داخليّ صادق، إن لم يُتَّخذ قبل الموسم، وظلّ معلّقًا على قدومه، كثيرًا ما يستمرّ تأجيله داخله... حتى ينقضي.

ولهذا كان السؤال الأصدق، والأقرب إلى النجاة:

لماذا ننتظر وقتًا أفضل لنعود إلى الله، وننسى أن أفضل وقتٍ هو اللحظة التي يوقظ الله فيها القلب ليشعر بحاجته إلى الرجوع، فيبادر، ويسأل العون، ويترك لله تمام التوفيق والقبول؟.

ما الذي يجب أن يُقلَع قبل أن نزرع؟

←لأن الزرع في تربةٍ مزدحمة لا يُثمِر،

←ولأن القلب إذا امتلأ بما يُزاحم الله ضاق عن أثر الطاعة،

كان لا بدّ قبل أن نزرع أن نسأل السؤال الأصدق: **ما الذي يجب أن يُقلَع، وما الذي ينبغي أن يُزال حتى تُهيَّأ المحلّية التي يُبارك الله فيها العمل؟**

وليس كل ما يُعطِّل الأثر ذنبًا ظاهرًا، ولا كل ما يُثقِل القلب معصيةً صريحة، فهناك أشياء استوطنت الداخل بهدوء، وتحوّلت مع الوقت إلى مألوفٍ لا يُستنكَر، لكنها تسرق من الطاعة روحها، وتُفرغ العمل من حياته، وتجعله حركة صحيحة في ظاهرها، ضعيفة في أثرها.

❖ **وأوّل ما يجب أن يُقلَع وهمُ أن العمل وحده كافٍ...**

فهذا الوهم يدفع إلى تراكم الأفعال دون مراجعة القلوب، ويُحمِّل الطاعة ما لا جُعِل لها أن تُنشِئه بذاتها، فيُطلَب منها الأثر دون صدقٍ سابق، ولا تجريدٍ حقيقي، مع أن البركة إنما تكون بتوفيق الله لمن صحّت وجهته.

❖ **ويجب أن يُقلَع تعلّقٌ خفيٌّ بغير الله...**

لا يلزم أن يكون حبًّا صريحًا أو شركًا ظاهرًا، بل قد يكون اعتمادًا داخليًا، أو انتظارًا للأمان من بشر، أو طلبًا للقيمة من إنجازٍ أو تقدير، فيتزاحم في القلب اعتمادان، ولا يجتمع فيه اعتمادٌ كاملٌ على الله مع اتّكالٍ خفيّ على غيره.

❖ **ويجب أن يُقلَع استهلاكُ الطاعة بوصفها مُسكّنًا مؤقّتًا..**

نلجأ إليه لنهدأ لا لنتغيّر، فنطلب من العبادة راحةً عاجلة دون تزكية، وطمأنينةً سريعة دون إصلاح السبب، فنهدأ قليلًا ثم نعود كما كنّا، لأن أصل العطب لم يُعالَج.

❖ **ويجب أن يُقلَع التساهل مع ما نعلم يقينًا أنه يؤذينا ويُعطِّل سيرنا..**

لكننا نؤجّل قطعه باسم التدرّج، حتى يتحوّل التدرّج إلى إقامةٍ دائمة، والنِّيَّة إلى عذرٍ مزمن، فيستقرّ العائق في القلب وهو متّشح بثوب الحكمة.

❖ **ويجب أن يُقلَع الانشغال بالنتيجة قبل الصدق...**

فنُراقب الأثر، ونستعجل التغيير، ونُثقل القلب بالترقّب والقياس، وننسى أن الثمرة تحتاج وقتًا وتثبيتًا، وأن الله يؤتي أثر العمل متى شاء وكيف شاء، لا على وفق استعجال العبد.

- وليس المقصود بهذا كلّه أن نُفرغ القلب دفعةً واحدة،
- ولا أن نبلغ كمالًا متوهَّمًا،
- ولا أن نُعلِّق العمل حتى يصفو الداخل تمامًا،

بل المقصود أن نُزيح ما نعلم علم اليقين أنه يُعطِّل الطريق، وأن نبدأ الزرع في مساحة صادقة، لا في أرضٍ مكتظّة بالأعذار والتأجيل.

فالزرع الحقيقي لا يبدأ بإضافة شيء جديد، بقدر ما يبدأ بإزالة ما يمنع النُّمو، فإذا خفّ القلب بقدر ما يُتاح له، وصحّت الوجهة بقدر ما يُستطاع، صار العمل أصدق، والأثر أعمق بإذن الله تعالى، **وتحولت الطاعة من موسمٍ عابر إلى طريق حياة**، لا لأن العمل تغيّر في صورته، بل لأن الله باركه حين وجد له محلًّا قابلًا.

القلب المُثقَل: كيف ندخل الطاعة ونحن نحمل ما يُعطِّلها؟

كثيرًا ما ندخل الطاعة لا ونحن فارغون لله، ولا وقد أخلينا القلوب لمقصودها، بل ونحن محمَّلون بما يكفي لإعاقة السَّير، نقف على باب العبادة بأجسادٍ حاضرة، وقلوبٍ مثقلة لا تزال مشدودة إلى أشياء أخرى تُزاحم المقصد وتُشتّت الوجهة.

ندخل الصيام...

١. ونحن نحمل همًّا لم نُواجهه،
٢. وغضَبًا لم نُعالجه،
٣. وتعلّقًا لم نُسمِّه باسمه،

فنطلب من الطاعة أن تُحدِث فينا ما لم نُمهِّد له في الداخل، وما لم نصدق مع الله تعالى في حمله وتسليمه.

القلب المُثقَل لا يرفض الطاعة، ولا يعاديها، لكنه لا يفسح لها المجال، يُؤدّي العمل في صورته...

- بينما الذهن مشغول،
- والنفس متوتّرة،
- والروح موزّعة بين أكثر من وجهة، فيكون الحضور ناقصًا، والأثر ضعيفًا.

←نحمل معنا قصصًا لم نُغلقها،
←وجراحًا لم تُعالَج،
←وآمالًا معلّقة بأبوابٍ غير باب الله تعالى،

ثم نستغرب لماذا لا يهدأ القلب في الصلاة، ولماذا يبقى الصيام ثقيلًا، ولماذا يظلّ الذكر مجهودًا لا راحة فيه، مع أن الخلل لم يكن في العبادة، بل في الحمل الذي سبقها.

وليس العيب في الطاعة، ولا في كونها طريق تزكية بإذن الله، بل في أننا لم نُخفِّف الحمولة قبل الدخول...

١. فصار العمل يُصارع ما في الداخل بدل أن يكون سببًا في علاجه،
٢. وصارت العبادة جهدًا مزدوجًا لا مسارًا واحدًا واضحًا.

- فالقلب إذا امتلأ بما يُزاحم الله تعالى ضاق عن السكينة،
- وإذا دخل العبادة وهو مُشتّت خرج منها مُتعبًا،

لا لأنه بذل جهدًا كثيرًا، بل لأنه بذل الجهد في اتجاهين متعاكسين، وطلب من الطاعة أن تجمع ما لم يُجمَع أصلًا.

ولهذا كان من الصدق مع النفس أن نسأل قبل كل طاعة:

١. ما الذي أحمله معي؟
٢. وهل هذا الحمل يُقرّبني أم يُثقِلني؟
٣. وهل أطلب من العبادة أن تُداوي ما أرفض الاعتراف به، أو أن تُسكِّن ما لم أُسلِّمه لله؟

وتخفيف القلب ليس ضعفًا، ولا تخلّيًا عن المسؤوليات، ولا هروبًا من الواقع، بل شجاعة ترتيب، نُسلِّم فيها ما لا نملك، ونُغلِق ما طال فتحه، ونُفرغ – بقدر الاستطاعة – مساحة حقيقية لله، مع الاعتراف بالحاجة الدائمة إلى عونه وتوفيقه.

وحين يدخل القلب أخفّ ممّا كان، تدخل الطاعة – بإذن الله – لتُغيّر لا لتُقاوِم، وحين نُخفِّف ما يُعطِّلها، تتحوّل العبادة إلى طريق شفاءٍ وتزكية، لا عبئًا آخر يُضاف إلى ما أثقلنا به أنفسنا.

خطوات عملية لتخفيف القلب قبل الطاعة

١. تسمية الحمل بدل إنكاره

لا يدخل القلب خفيفًا وهو يُنكر ما يحمله... اسأل نفسك بصدق:

- ما الهمّ الذي أؤجّله؟
- ما الغضب الذي أتجاهله؟
- ما التعلّق الذي أُجمّله باسم الصبر أو الحكمة؟

ما لا يُسمّى لا يُسلَّم.

---

٢. التفريق بين ما أُطالَب به وما لا أملكه

كثير من الثقل سببه حمل ما ليس في اليد:

- قلوب الناس،
- نتائج الأمور،
- تغيّر الآخرين.

خفّف قلبك بقاعدة واحدة: أؤدّي ما أُمرت به، وأُسلّم ما لا أملكه لله.

---

٣. إغلاق الملفات المفتوحة بقرار لا بمشاعر

لا تنتظر زوال الألم لتغلق الملف.

بعض القضايا لا تُغلق بالشفاء بل بالتسليم:

- دعاء صريح،
- قرار داخلي: "يا رب، هذا الأمر عندك لا عندي".

الملف المفتوح يسرق حضورك ولو صمتَّ عنه.

---

٤. قطع التغذية اليومية للثِّقل

اسأل: ما الذي يُعيد شحن هذا الحمل كل يوم؟

- حديث متكرر،
- متابعة،

- تفكير ليلي.

خفّف قلبك بقطع ما يُغذّي الألم، لا فقط بالصبر عليه.

---

٥. تقليل التعلّقات قبل زيادة الأعمال

لا تُكثِر الطاعات وقلبك مزدحم.

أحيانًا: ترك تعلّق واحد أنفع من زيادة عملٍ كامل.

الفراغ شرطٌ قبل الامتلاء.

---

٦. الدخول إلى الطاعة بنية العلاج لا الإنجاز

قل قبل العبادة: "يا رب، لا أؤدّي لأُنجز، بل لأُصلَح"

غيّر نيتك... يتغيّر عبء الطاعة.

---

٧. قبول النقص دون جلد

القلب لا يُخفَّف دفعة واحدة.

خفّفه بقدر ما تستطيع، وادخل الطاعة بما بقي،

ولا تجلد نفسك لأنك لم تدخل كامل الصفاء.

الصدق يُخفّف أكثر من الكمال.

---

٨. سؤال ما بعد الطاعة لا أثناءها

لا تُراقب الأثر وأنت تؤدّي... اسأل بعد الطاعة:

- هل خفّ الحمل؟
- هل هدأ شيء؟
- هل اتّضح مسار؟

العبادة تُثمر في السُّكون لا في التقييم المتعجّل.

خلاصة جامعة

تخفيف القلب لا يعني إزالة كل الأحمال،
بل ترتيبها، وتسليم ما لا يُحتمل، حتى تدخل الطاعة لتُغيّر لا لتُصارع.
هذه الخطوات ليست وصفة مثالية، بل طريق واقعي
لمن يريد أن يدخل الطاعة...

بقلبٍ يُفسِح لها المجال... لا بقلبٍ يطلب منها المستحيل.

الفرق بين قلبٍ يستقبل الطاعة، وقلبٍ يستهلكها

ليس كل من عمل استقبل، ولا كل من أدّى دخل، فليست العبرة بمجرد الفعل، ولا بصورة الأداء، إذ قد تُستقبَل الطاعة كما يُستقبَل الضيف العزيز فيُهيَّأ له المكان ويُفرغ له القلب، وقد تُستهلك كما تُستهلك الحاجة المؤقّتة، تؤدَّى لتقضي غرضًا عابرًا ثم تُغادَر دون أثرٍ باقٍ.

✓ **فالقلب الذي يستقبل الطاعة**

١. يفتح لها مساحته بقدر ما يستطيع،
٢. ويتهيّأ لها قبل دخولها،
٣. ويُخفِّف ازدحامه،
٤. ويُسلِّم قيادته لله قبل أن يبدأ،

فيدخل العمل وهو يعلم أنه مقبلٌ على تربية وتزكية بإذن الله، لا على مجرّد إثباتٍ للنفس أو إتمامٍ لواجبٍ شكلي.

☒ **أمّا القلب الذي يستهلك الطاعة،**

١. فيدخلها وهو كما هو، يحمل أثقاله دون مراجعة،
٢. ويُبقي تعلّقاته دون تسليم،
٣. ويطلب من العبادة أن تُريحه دون أن تُزعجه،
٤. وأن تُسكِّن توتّره دون أن تُغيّر مواضع الخلل فيه،

فيؤدّي العمل طالبًا أثرًا سريعًا لا مسارًا مُصلِحًا.

✓ **القلب الـمُستقبِل يسأل قبل العمل:** ماذا يريد الله مني في هذا المقام، وبأي حالٍ ينبغي أن أقف بين يديه؟..

☒ **أمّا القلب المُستهلِك فينقل السؤال إلى ما بعد العمل:** ماذا شعرت؟ وماذا حصلت؟ وهل ارتحت؟ فيقيس العبادة بمردودها النفسي لا بصدقها.

✓ **الأول** يُسلِّم النتائج لله، ويثق بالمسار، ولا يستعجل الأثر، لأنه دخل صادقًا وسلّم الوجهة،

☒ أمّا **الثاني** فيُراقب نفسه، ويزن الطاعة بميزان الراحة، فإن وجد خفّةً اطمأن، وإن وجد ثِقلًا خاب أو انسحب، لأنه لم يدخل مستعدًا للمجاهدة.

✓ **القلب الذي يستقبل الطاعة يسمح لها – بإذن الله – أن تكشفه**، وأن تُربكه قليلًا، وأن تُعيد ترتيب أولوياته، لأنه دخل طالبًا للإصلاح،

☒ **أمّا القلب الذي يستهلكها فيضع حدودًا غير معلنة:** تُصلِح هنا، لكن لا تقترب من هذا الموضع، ولا تمسّ هذا التعلّق، ولا تُربك هذا الاستقرار الهش.

✓ ولهذا يخرج **الأول** أقلّ غرورًا، وأكثر وعيًا، وأشدّ افتقارًا إلى الله، لا لأنه أفضل عملًا، بل لأنه أصدق دخولًا،

☒ بينما يخرج **الثاني** إمّا مرتاحًا بلا تغيّر، أو متعبًا بلا ثمرة، مع أن العمل في صورته قد يكون متشابهًا.

فالفرق في الحقيقة ليس في الصيام ولا في القيام، ولا في الذكر ولا في الدعاء،

بل في القلب الذي دخل بها، هل جاء ليستقبل نورًا يُغيّر مساره بإذن الله، أم ليستهلك طقسًا يُهدّئ ضميره ثم يمضي؟.

ومن هنا يُفهم لماذا يُغيّر رمضان بعض الناس، ويمرّ على آخرين مرور العادة، فالموسم واحد، والطاعة واحدة، لكن القلوب التي دخلت بها.. ليست سواء.

تهيئة التربة: خطوات صادقة قبل أول يوم صيام

تهيئة التربة لا تعني أن نُصلِح كل شيء دفعةً واحدة، ولا أن ندخل الصيام بقلوبٍ مكتملةٍ أو نفوسٍ بلغت غاية الصفاء، بل تعني أن نبدأ بصدقٍ حقيقي، وأن نُخفِّف ما نعلم علم اليقين أنه يُعطِّل الأثر، مع الاعتراف بأن التوفيق بيد الله تعالى، وأن ما نقدر عليه هو الصدق والأخذ بالأسباب.

- وأولى الخطوات أن نقف مع أنفسنا وقفةً هادئة بلا تجميل ولا تبرير، لا لنُدين ولا لنجلد، بل لنفهم ونتبصّر، فنطرح السؤال كما هو:
  ١. ما الذي يُثقِل قلبي اليوم؟
  ٢. وما الذي أحمله معي كلما أردت أن أقترب من الله، فيعود هذا الحمل فيُبطئ الخطو ويُشتّت الوجهة؟.
- ثم نُسمّي الأشياء بأسمائها دون تهويل ولا إنكار، تعلّقًا كان، أو خوفًا دفينًا، أو ذنبًا مُزمِنًا أَلِفناه، أو صورةً عن أنفسنا لم نعد نريد العيش داخلها، لأن ما لا يُسمّى لا يُراجَع، وما لا يُراجَع لا يُعالَج.
- ثم تأتي الخطوة التالية، وهي أن نُخفِّف لا أن نُكثِر، وأن نُقلِّل الضجيج لا أن نزيده، وأن نُغلق بعض النوافذ التي تستنزف القلب، ونُؤجِّل ما يمكن تأجيله

من الملهيات والانشغالات، لا زهدًا في الدنيا، بل فتحًا لمساحةٍ صادقةٍ لله، فالقلب المزدحم لا يحسن الاستقبال.

- ثم نُعيد ترتيب نيتنا بهدوءٍ وصدق، لا لننطق عبارات جميلة، بل لنُقرّ بحقيقتنا وافتقارنا، فنقول في داخلنا:

١. نحن لا ندخل الصيام لنُثبت قدرتنا،
٢. ولا لنُراكم إنجازًا،
٣. بل لنعترف بضعفنا، ولنرجع إلى الله،
٤. ونسأله الإصلاح والعون والقبول.

- ومن الصدق أيضًا أن نبدأ بخطوةٍ واقعية لا متوهَّمة، بقرارٍ واحد واضح، أو تخلٍّ واحد صريح، أو توبةٍ غير مؤجَّلة، يكون أثرها صغيرًا في الظاهر، لكنه حقيقي في الداخل، فالله يُبارك في الصدق قبل الكثرة، ويُعطي على الإخلاص ما لا يُعطي على الاندفاع.

- وأخيرًا، أن نُسلِّم النتائج لله، وأن ندخل الصيام لا ونحن نترقّب الشعور أو نراقب الأثر، بل ونحن نثق بالمسار، ونعلم أن من دخل صادقًا، وتوكّل، وسأل العون، تولّى الله إصلاحه على مهل، وبالطريقة التي يعلمها سبحانه، لا على وفق استعجال العبد.

فتهيئة التربة ليست عملًا جانبيًا ولا خطوةً تمهيدية هامشية، بل هي بداية الصيام الحقيقية...

فإذا صلح الداخل قبل اليوم الأول بقدر ما يُستطاع، دخلت الطاعة – بإذن الله – لتُغيّر لا لتُقاوِم، وكان الشهر عبورًا وتزكية... لا تكرارًا لما كان.

وهم «سأبدأ في رمضان» بوصفه أخطر أشكال التسويف المتديّن

هذا الوهم لا يبدو خطيرًا في ظاهره، لأنه مُغلّف بنيّة صالحة، ومدعوم بتوقير الموسم، ومصحوب بعباراتٍ إيمانية مطمئنة، لكنه في حقيقته من أكثر أشكال التسويف خداعًا للنفس، لأنه لا يصطدم بالضَّمير، **بل يُخدّره بهدوء.**

عبارة «**سأبدأ في رمضان**» ليست دائمًا وعدًا صادقًا، بل كثيرًا ما تكون صيغة مهذّبة للهروب من قرارٍ مؤلم في الحاضر:

١. نُؤجّل التغيير باسم التوقير،
٢. ونُرحّل المواجهة باسم الانتظار،
٣. ونُعلّق الصدق على زمنٍ لم يأتِ بعد.

هذا النوع من التسويف لا يُشبه الكسل الصريح الذي يُعرَف ويُدان، بل يُشبه **الأدب المزيّف مع الطاعة**، نُقنع أنفسنا أننا نُجِلّ الزمن القادم ونحترم خصوصيته، بينما الحقيقة:

١. أننا نتهرّب من ثِقل البدء،
٢. ومن كلفة الخطوة الأولى،
٣. ومن مواجهة ما نعرف أنه لا يحتمل التأجيل.

- نؤجّل التوبة،
- ونُبقي العادة،
- ونُراكم النِّيَّة دون قرار،
- ونطلب من رمضان أن يفعل ما لم نجرؤ على فعله قبله،
- فنُحمّله فوق ما جُعِل له،

ثم نلوم أنفسنا إذا خرجنا كما دخلنا، مع أن العطب كان في التأجيل لا في الموسم.

الخطر الحقيقي في هذا الوهم:

←أنه يُسكِّن الضمير دون أن يُحرّك الإرادة،

←ويمنح شعور الاستعداد دون التزام،

←ويُبقي القلب في منطقةٍ آمنة لا تغيير فيها،

←فنعيش مؤمنين بالكلام،

←مؤجّلين بالفعل،

←مطمئنين بالنِّيَّة،

←معطّلين بالقرار.

والله سبحانه وتعالى...

١. لا يُتقرب إليه بالتأجيل،

٢. ولا يُطلب بنوايا معلّقة،

٣. ولا يوجد عنده سبحانه موسمًا مخصوصًا ليقبل العائدين،

بل يفتح باب الرجوع لمن صدق في الإقبال متى أقبل، وأخذ بأسبابه، وسأل العون والتوفيق، فالزمن لا يُنشِئ التوبة، وإنما الصدق هو الذي يفتح بابها بإذن الله.

و«**سأبدأ في رمضان**» إن لم تُترجَم اليوم إلى خطوةٍ حقيقية، ولو صغيرة، فإنك:

- ستدخل رمضان شعارًا،
- وتخرج منه حسرةً صامتة،
- لأن ما لم يُبدَأ به في الصدق، لا يُكمَل في الموسم.

←فالبدء الصادق لا يعرف تاريخًا مثاليًا،

←ولا ينتظر ظرفًا كاملًا،

←بل لحظة وعيٍ يُوقظ الله فيها القلب ليقول: الآن... لا غدًا، ثم يسأل

العون، ويخطو، ويترك لله تعالى تمام الفتح.

وهنا يُفهم أن أخطر أشكال التسويف ليس أن يقول الإنسان: لا أريد، بل أن يقول: أريد... لكن لاحقًا.

لماذا لا يُصلِح الموسم ما أُهمِل طوال العام؟

- لم تُجعل المواسم لتُعيد بناء ما هُدِم طويلًا،
- ولا لتُنشِئ من العدم ما أُهمِل عبر الزمن،
- بل جُعِلت لتُقوّي ما كان حيًّا أصلًا،
- وتُسرّع نموّ ما زُرِع قبلها،
- وتكشف بوضوحٍ ورحمةٍ معًا ما تُرك دون معالجة.

←فالموسم يُضاعف ولا يُنشِئ،

←ويُعمِّق ولا يزرع الجذور وحده،

- ومن دخل الموسم بقلبٍ مُهمَل،
- أو عادةٍ راسخة،
- أو اتجاهٍ لم يُراجَع،

خرج منه مُرهقًا أكثر، لا لأنه قصّر في الجهد، بل لأنه طلب من الزمن ما لا يصنعه إلا القرار الصادق، وما لا يتمّ إلا بتوفيق الله مع أخذ الأسباب.

فالعام كلّه هو الذي يصنع العادة، ويُشكِّل الاتجاه، ويُرسِّخ التعلّقات، فإذا جاء الموسم حاول بعضنا أن يُغيّر بسرعةٍ ما بُني على مهل، وأن يُصلِح في أسابيع ما أُهمل في شهور، فكانت المواجهة غير متكافئة، والنتيجة مُحبِطة.

ولا يُصلِح الموسم ما أُهمِل طوال العام، لا لنقصٍ في بركته، ولا لقصورٍ في

فضله، بل لأن الإصلاح:

١. يحتاج حضورًا مستمرًا،
٢. ومراجعةً صادقة،
٣. وخطواتٍ صغيرة ثابتة،
٤. لا اندفاعًا مكثفًا ينتهي بانتهاء الزمان،
٥. ثم يُعاد الانتظار إلى الموسم التالي.

←**ورمضان** لا يُغيّر من لا يريد التغيير،

←ولا يُنقذ من لا يبدأ،

←ولا يُصلِح من ينتظر أن يُحمَل على الإصلاح دون إرادةٍ أو مجاهدة،

فالله سبحانه وتعالى لا يُجبر القلوب على التحوّل، ولا يسوقها قسرًا إلى التزكية، بل:

١. يفتح لها الأبواب إذا صدقت،
٢. وأعانها إذا أقبلت،
٣. وبارك لها إذا استقامت.

وهذا لا يعني أن الموسم بلا قيمة، ولا أن أثره محدود، بل يعني أن قيمته الحقيقية تظهر حين يأتي:

- مكمّلًا لا بديلًا،
- ومُعزِّزًا لا مُنقذًا أخيرًا،
- ومجالَ بركةٍ لما بدأ قبلَه، لا علاجًا طارئًا لما أُجِّل طويلًا.

وحين نفهم هذا الميزان، نتوقّف عن تعليق آمالنا على الزمن وحده، ونبدأ بإصلاح علاقتنا بالله في كل يوم، خطوةً بعد خطوة، فإذا جاء الموسم جاء ليُثمِر ويُبارك، لا ليُرمِّم ما تُرك ينزف طويلًا، والله تعالى بعد ذلك يفعل بعباده ما يشاء برحمته، **وهو أكرم من أن يُضيّع من صدق في الرجوع.**

الهدف التربوي

١. يهدف هذا الباب إلى هدم التوقّعات الوهمية المرتبطة بالمواسم التعبدية،
٢. وكشف وهم التحوّل التلقائي بالكثرة أو بالزمن،
٣. وإعادة توجيه القارئ من الانشغال بصورة العمل وكميّته إلى وعي القابلية القلبية التي يستقبل بها الطاعة،
٤. ومن قياس العبادة بما أُنجِز ظاهرًا إلى محاسبة القلب بما استقبل واستجاب،
٥. ومن انتظار الأثر من الخارج أو من الموسم ذاته إلى البدء بإصلاح الداخل وأخذ أسبابه، حتى يدخل الطاعة بصدقٍ يُرجى معه الإثمار بإذن الله، لا بحماسةٍ عابرة تُرهِق ولا تُغيّر، ويتحوّل الموسم من تجربةٍ مؤقّتة تنقضي بانقضائه إلى نقطة انعطافٍ حقيقية في مسارٍ إيمانيّ ممتدّ.

لسنا نبحث عن موسمٍ يُغيّرنا بذاته، بل عن قلبٍ يُهيِّئه الصِّدق والتوبة ليصلَح لأن يُغيَّر بتوفيق الله.

←الطاعة لا تفشل لقِلّتها، بل لأن القلب لم يُهَيَّأ ليستقبل بركتها.
←والأثر لا يتأخّر لأن العمل قليل، بل لأن الداخل لم يُراجَع ولم يُصلَح بعد.

المعنى أن المشكلة ليست في قِلّة الطاعة،
فالقليل إذا صادف قلبًا مُهيّأً باركه الله وأثمر.
وأن تأخّر الأثر ليس لأن العمل ضعيف، بل لأن القلب دخل الطاعة وهو مُثقَل، غير مُراجع، ولا مُصلَح.
فالطاعة تحتاج قلبًا مُستعدًّا كما يحتاج الزرع أرضًا مهيّأة،
وإلا ضاعت البركة، ولو كثر العمل.

الباب الأول: رجب: شهر كشف التربة لا زرع الأفعال

(زرع النِّيَّة قبل العمل)

ليس كلّ اقترابٍ من الله تعالى يبدأ بالحركة، ولا كلّ استعدادٍ صادق يُقاس بما نُضيفه من أفعال، فبعض المواسم لا تأتي لتُكثِّر العمل في ذاته، بل لتكشف ما يمنعه من الحياة، وما يحول دون بركته وأثره.

رجب ليس شهر السباق، ولا شهر الزيادة، ولا ميدان إثبات الهمم، بل شهر السؤال الصامت الذي يسبق كل فعل صادق: **قبل أن نزرع... ماذا في الأرض؟**... كثيرون يدخلون مواسم الطاعة وهم مستعدّون للفعل والانضباط، لكنهم غير مستعدّين لرؤية ما في الداخل، فينشغلون بالزرع، ويتجاهلون التربة، ثم يستغربون ضعف النُّمو، وقلّة الأثر، وسرعة الذبول، مع أن الخلل لم يكن في البذرة وحدها، بل في الأرض التي استقبلتها.

رجب لا يطلب منك:

١. أن تعمل أكثر، بل أن تنظر أعمق،

٢. وأن تُنقِّب لا أن تُراكِم،

٣. وأن تكشف لا أن تُزيِّن،

٤. وأن تُسمّي العوائق قبل أن تطلب البركة،

٥. لأنَّ ما لا يُسمّى لا يُراجَع، وما لا يُراجَع لا يُعالَج.

← في هذا الشهر لا يُختبر عدد ما تفعل، بل صدق ما تريد،

← ولا تُقاس الهمّة بكثرة النوافل، بل بجرأة المواجهة مع النفس،

← وبالقدرة على الاعتراف بما يُعطِّل القلب عن الله،

← وبما يزاحم المقصد وإن بدا مألوفًا أو مبرَّرًا.

رجب شهر كشف..

١. تُكشَف فيه النيّات المعلّقة،

٢. والتعلّقات الخفيّة،

٣. والأثقال التي نحملها معنا إلى الطاعة ثم نطلب منها أن تُغيّرنا،

٤. وهو بهذا المعنى ليس تمهيدًا زمنيًا لرمضان فحسب،

٥. بل تمهيدًا قلبيًا له، يُعاد فيه ترتيب الداخل قبل أن يبدأ الاندفاع.

والفكرة المحورية هنا بسيطة في لفظها، عميقة في معناها:

رجب ليس شهر زيادة الأعمال، بل شهر كشف العوائق التي تمنع العمل من الحياة، فما لم يُكشَف الآن، سيُرافِقنا إلى شعبان، ثم يدخل معنا رمضان، فيُثقِل الأثر ويُضعِف الثمرة.

- **في رجب لا نزرِع الأفعال، بل نزرِع النِّيَّة،**
- **ولا نُكثِر الحركة، بل نُصحّح الاتجاه،**

حتى إذا جاء وقت الزَّرع الحقيقي، كانت الأرض أصدق، والبذرة أحيى، وكان الأثر – بإذن الله وتوفيقه – مختلفًا.

لماذا كشف التربة مؤلِم... لكنه مُنقِذ؟

لأن كشف التربة يعني أن نرى ما كنا نُخفيه طويلًا تحت طبقات العمل، وأن نعترف بصدقٍ أن المشكلة لم تكن دائمًا في قلّة الطاعة ولا في ضعف الجهد، بل في أشياء استوطنت الداخل زمنًا طويلًا دون مساءلة، حتى ألفناها وظننّاها جزءًا من الطريق.

والكشف مؤلِم...

١. لأنه يُسقِط الأعذار التي احتمينا بها،

٢. ويمنعنا من الهروب إلى الأفعال طلبًا للراحة،
٣. ويضعنا وجهًا لوجه أمام أنفسنا كما هي في الحقيقة، لا كما نحب أن نراها أو نُحب أن نُصدّق عنها.

←فنكتشف أن بعض ما حسبناه همّةً كان في جوهره هروبًا من المواجهة،
←وأن بعض ما ظننّاه استعدادًا لم يكن إلا تسويفًا مهذّبًا،
←وأن بعض ما سمّيناه صبرًا كان خوفًا من التغيير، لا ثباتًا عليه.

لكن هذا الألم – على ثقله – مُنقِذ بإذن الله تعالى، لأنه:

١. يوقف نزيف التكرار،
٢. ويمنعنا من تحميل المواسم ما لا تحتمل،
٣. ويُعيد إلينا القدرة على البدء الصادق بعد طول دوران،
٤. ويكشف موضع الخلل قبل أن نُثقِل عليه بطبقات جديدة من الجهد.

وكشف التربة لا يُحبط القلب إذا فُهِم على وجهه، بل يُحرِّره، لأنه يرفع الوهم قبل أن يرفع الحمل، ويُصلِح الاتجاه قبل أن يُكثِر الخطوات، ويُعيد العمل إلى موضعه الصحيح من العبودية لا من التعويض.

ومن لم يحتمل كشف التربة سيظلّ يزرع في أرضٍ لا تُنبت، ويُكرِّر التجربة نفسها بأسماء مختلفة، أما من تجرّأ على الرؤية، واعترف بالحاجة، وسأل العون من الله، فقد بدأ أول إصلاحٍ حقيقي، لا بضجيج البداية، بل بصدقها.

خطوات عملية لكشف التربة في شهر رجب

١. إيقاف الزيادة المقصودة في الأعمال

- لا تُكثِر الطاعات في رجب.
- اجعل هذا الشهر شهر كشف لا شهر سباق.

٢. مراجعة آخر موسمين لا آخر أسبوع

- انظر: ماذا تغيّر بعد رمضان الماضي؟

– ما الذي عاد؟ ما الذي ثبت؟ ما الذي تكرّر؟

٣. تسمية الداخل بلا تلطيف لغوي

سمِّ الأمور بأسمائها: تعلّق، خوف، هروب، غضب، تسويف...
لا تُجمّلها بمسميات شرعية.

٤. تفكيك الطاعة المتكررة بلا أثر

اسأل: أي عبادة أداوم عليها ولا تُغيّرني؟ الخلل غالبًا قبلها لا بعدها.

٥. سؤال الصدق لا سؤال القبول

بدل: هل قُبل عملي؟... اسأل: هل كنت صادقًا فيه؟

٦. رصد مواضع الهروب اليومية

راقب: إلى ماذا أهرب حين أضيق؟ عمل؟ هاتف؟ طاعة شكلية؟ صمت؟

٧. إغلاق ملف واحد مؤجَّل

لا تفتح كل الجراح.
اختر ملفًا واحدًا وقل: هذا الشهر سأواجهه أو أُسلّمه لله.

٨. تقليل الكلام عن الإصلاح

في رجب: قلّل الكلام، وكثّف الصدق.

٩. دعاء كشف لا دعاء إنجاز

اجعل دعاءك: اللهم أرني ما في قلبي كما هو، لا كما أُحب.

١٠. قبول الألم دون استعجال تخفيفه

لا تُسكّنه فورًا بعمل جديد... دعه يؤدي وظيفته.

١١. كتابة اعتراف لا خطة

اكتب: ما الذي أعاقني؟.. لا: ماذا سأفعل لاحقًا؟

١٢. تأجيل قرارات التغيير الكبرى

رجب ليس شهر التحوّل، بل شهر الرؤية.

١٣. الامتناع عن مقارنة النفس بغيرها

المقارنة تُفسد الكشف.

١٤. الصمت قبل الطاعة بدقائق

دقيقة صمت قبل الصلاة أصدق من ركعة زائدة.

١٥. ختم رجب بسؤال واحد فقط

ما الذي لو بقي كما هو سيدخل رمضان معي ويُفسده؟

—

من كشف التربة في رجب، دخل شعبان خفيفًا، ودخل رمضان قابلًا للزرع، لا مُثقَلًا بالوهم.

خريطة رجب: ماذا نكشف قبل أن نزرع؟

هذه ليست قائمة محاسبة تُثقِل الضمير، ولا جدول تقييمٍ يُقاس به الناس، بل خريطة وعي نمرّ بها بهدوء، لنرى أين نقف على الحقيقة، قبل أن نتحرّك، وقبل أن نطلب من الطاعة ما لم نُهيِّئ له موضعه في القلب.

◄ أولًا: النِّيَّة

نكتشف هنا لماذا نريد الطاعة حقًّا، لا كما نُحب أن نُقدّمها، بل كما هي في داخلنا...

١. هل نطلب بها القرب من الله،
٢. أم نطلب بها راحةً نفسية،
٣. أم نحاول تعويض نقصٍ خفي،
٤. أم نبحث عن صورة نحب أن نراها عن أنفسنا؟

في رجب لا نُجمّل النِّيَّة ولا نُحسّن خطابها، بل نكشفها بصدق، ونسأل الله

إصلاحها، **لأن النِيَّة لا تُصلَح بالتزيين، بل بالاعتراف والافتقار.**

◄ ثانيًا: العوائق

ثم نُسمّي ما يمنع الحياة عن العمل دون تهويل ولا إنكار...

١. تعلّقًا خفيًّا،

٢. أو ذنبًا مؤجَّلًا،

٣. أو خوفًا من التغيير،

٤. أو ضجيجًا دائمًا لا يترك للقلب سكونًا،

٥. أو اعتمادًا على غير الله في موضع لا يحتمل إلا التوكّل عليه،

فهذه العوائق لا تزول بكثرة الصيام وحدها، ولا بكثافة المواسم، بل بالوعي الصادق، والقرار الممكن، وسؤال العون من الله تعالى.

◄ ثالثًا: الاتجاه

ونسأل أنفسنا بصدق:

١. إلى أين نسير بهذا العمل؟

٢. هل الطاعة تزيد قربنا من الله وتُربّينا على العبودية، أم تزيد فقط شعورنا بالإنجاز والامتلاء؟

٣. هل مسارنا يُصلِحنا على مهل، أم يُرهقنا بلا أثرٍ باقٍ؟

في رجب نُصحِّح الاتجاه قبل أن نُسرِع، لا لنصل بسرعة، بل لنسير في الطريق الصحيح، لأن من صَحَّ اتجاهه، وصدق في وجهته، وأخذ بالأسباب، تولّى الله إيصالَه بفضله وفي الوقت الذي يعلمه سبحانه.

زرعِ النِّيَّة: كيف نُهيّئ القلب قبل أن يبدأ العمل؟

◄ لأنَّ العمل لا يُحيي القلب من تلقاء نفسه،

◄ ولا تُغيّر الطاعة من لم يُغيّر وجهته،

كان لا بدّ أن نبدأ من النِّيَّة، لا بوصفها جملة تُقال أو معنى عابرًا يُستحضَر، بل أرضًا تُهَيَّأ، ومحلًّا يُصلَح، واستعدادًا داخليًا يسبق الحركة.

زرع النِّيَّة يعني أن نتوقّف قبل الفعل، وأن نكسر اندفاع العادة، وأن نسأل بصدق:

١. لمن هذا العمل؟

٢. ولماذا الآن؟

٣. وماذا أرجو أن يُصلِح الله في داخلي بسببه؟

لأن السؤال الصادق يُصحِّح الوجهة قبل أن تتكاثر الخطوات.

والنِّيَّة الصادقة...

← لا تبحث عن الشعور،

← ولا تَعِد النفس بأثرٍ سريع،

← ولا تدخل العمل بعقلية المكافأة،

← بل تدخل وهي تعلم أن التغيير مسار،

← وأن الإصلاح تدرّج،

← وأن الله تعالى يُصلِح القلوب على مهل،

← وبالطريقة التي يعلمها سبحانه، لا على وفق استعجال العبد.

وتهيئة القلب تبدأ...

١. بالتخلّي قبل الإضافة،

٢. وبالتخفيف قبل الزيادة،

أن نُفرغ مساحة لله تعالى، وأن نُخفّف الضجيج الذي يزاحم الحضور، وأن

نُسلِّم ما لا نملك، ونعترف بحدودنا وافتقارنا، فالقلب الممتلئ لا يحسن الزرع، ولا يتّسع للأثر.

ثم نُعيد تعريف الطاعة في وعينا، فلا نراها اختبار همّة، ولا إثبات استحقاق، ولا ساحة مقارنة، بل باب رجوع، ودواء ضعف، وطريق تزكية، يدخلها العبد طالبًا الإصلاح لا الإعجاب، والقرب لا الصورة.

ومن الصدق أن نربط النِّيَّة بواقعنا الحقيقي، لا بخطابٍ عام، فنُسمّي ما نريد إصلاحه بوضوح، خُلُقًا نريد تهذيبه، أو تعلّقًا نريد فكه، أو ذنبًا نريد قطعه،

← لأن النِّيَّة العامة تُنتج أثرًا عامًا،

← أمّا النِّيَّة الواعية فتفتح موضعًا محدّدًا في القلب ليُصلَح بإذن الله.

وزرع النِّيَّة لا يحتاج إعلانًا، ولا وعودًا كبيرة، ولا لغة عالية، بل قرارًا صادقًا صغيرًا، نحمله معنا إلى العمل، ونُجاهد على حفظه، ونترك لله تمامه وقبوله.

- وحين تُزرَع النِّيَّة قبل العمل، تدخل الطاعة — بإذن الله — لتُحيي لا لتُرهِق،
- وحين يُهيَّأ القلب أوّلًا، يأتي الفعل ليُثمِر ويُزكّي، لا ليُعاد ويُكرَّر، ويغدو العمل طريق حياة، لا مجرّد حركةٍ تنقضي بانقضائها.

رجب: أسئلة لا نتهرّب منها

لأن رجب لا يأتي ليطلب منّا أن نعمل أكثر، ولا ليزيد من حركة الجوارح، بل ليطلب منّا أن نصدق أكثر في الوجهة والمقصد، كان لا بدّ من أسئلة لا نُؤجّلها، ولا نُلطّفها، ولا نهرب منها إلى الأفعال، لأن ما يُؤجَّل في الرؤية يُثقِل العمل حين يبدأ.

لماذا أريد هذه الطاعة؟

١. هل أريد الله لذاته وقربه، أم أريد أثر الطاعة وما تمنحه من شعور؟

٢. هل أبحث عن القرب الحقيقي، أم عن إحساسٍ عابر يطمئن النفس؟
٣. وهل أهرب من الذنب طلبًا للراحة، أم أُقبل على الله طلبًا للإصلاح؟
٤. وما الذي يُعطِّل قلبي حين أبدأ؟
٥. ما الشيء الذي أحمله معي كل مرة، فيجعل العمل ثقيلًا، والحضور ضعيفًا، والأثر سريع الذبول، مع أن الفعل واحد والموسم واحد؟
٦. وما الذنب الذي أعرفه علم اليقين، وأُؤجّل قطعه باسم التدرّج أو الظرف أو الانتظار؟
٧. وما العادة التي أُسمّيها "**مرحلة**"، بينما هي في حقيقتها إقامة طويلة في موضع لا يُرضي الله ولا يُنمّي القلب؟
٨. وما الذي أخاف أن أتخلّى عنه؟ ولماذا يبدو لي التخلّي خسارة، بينما هو في ميزان الحق باب حياةٍ واتساع، لا باب حرمان؟
٩. وهل تغيّرت علاقتي بالله في العام الماضي تغيّرًا حقيقيًا في القرب والصدق والتسليم، أم تغيّرت فقط كثافة الأفعال، وبقي القلب على حاله، يكرّر الطريق نفسه بأدوات أكثر؟.
١٠. وإن دخل رمضان غدًا، ماذا سأحمل معي؟ قلبًا أخفّ ممّا كان، أم الأثقال نفسها، لكن مع جدولٍ جديد، وحماسةٍ مؤقّتة؟

هذه الأسئلة لا تُطرَح لإدانة النفس ولا لجلدها، بل لإنقاذها من دائرة التكرار، لأن من لم يسأل نفسه الآن بصدق، سيُعيد السؤال متأخّرًا بعد انقضاء الموسم، حين تكون الفرصة قد مرَّت والأثر قد خَفَتْ.

فرجب فرصة نادرة، لا ليُزيّن المسار ولا ليُجمِّله، بل ليكشفه على حقيقته، فمن صدق في هذه الأسئلة، وسأل العون من الله، ودخلها بلا تزيين، دخل ما بعدها بوعيٍ مختلف، وخفّةٍ أصدق، واستعدادٍ أقرب للقبول بإذن الله تعالى.

ما الذي أفسد قلبي أصلًا... دون أن أشعر؟

لم يفسد القلب فجأة، ولم ينهَر في لحظة واحدة، بل تآكل بصمتٍ طويل، تحت أشياء صغيرة بدت عادية، وتكرّرت حتى صارت نمطًا، ثم استقرّت حتى صارت طبعًا لا يُستنكَر.

- **أفسده الاعتياد قبل المعصية:**

حين صرنا نُمارس بعض الأخطاء بلا مقاومة داخلية، لا لأننا نُحبّها أو نرضاها، بل لأننا ألفناها، فغاب الإنكار، وغاب معه الوجع الذي كان يحرس القلب من التبلُّد.

- **وأفسده الانشغال الدائم:**

حين امتلأ الوقت بالضجيج، والقلب بالمتابعة، والعقل بالمقارنات، فلم يعد للسَّكينة موضع، ولا للمراجعة مساحة، ولا للصمت الذي يُصلِح ما لا يُصلِحه الكلام مكان.

- **وأفسده تأجيل الصدق مع النفس:**

حين عرفنا مواضع الخلل، ولم نجهلها، لكننا آثرنا السلامة المؤقّتة على المواجهة الصادقة، فراح القرار يتأجّل، وتراكمت النيات، حتى صارت النِّيَّة نفسها حجابًا يمنع الفعل بدل أن يقوده.

- **وأفسده تحويل الطاعة إلى عادة:**

نؤدّيها لأننا اعتدنا شكلها، لا لأننا نحتاج معناها، ففقدت قدرتها على الإيقاظ، وصارت تُنجَز بانتظام، دون أن تُحدِث في الداخل ما جُعِلت له من تزكية.

- **وأفسده تعلّقٌ خفيّ بغير الله:**

لا في صورة شركٍ ظاهر، بل في صورة اعتمادٍ داخلي، نطلب منه الطمأنينة والاستقرار، فإذا خذلنا ازداد الاضطراب، ثم تعجّبنا: لماذا لا يهدأ القلب، مع

أن موضع السكون لم يكن عنده أصلًا؟

- **وأفسده طول الأمل:**

حين ظننّا أن الوقت يتّسع لكل شيء، وأن التغيير يمكن تأجيله بلا ثمن، فمرّت الأعوام، وتبدّلت الوجوه، وتغيّرت الظروف، وبقي القلب في الموضع نفسه، **ينتظر بدايةً لم تأتِ**.

ولم يفسد القلب لأننا أشرار، ولا لأن النِّيَّة فاسدة في أصلها، بل لأننا غافلون، ولأن الأشياء التي تُفسده لا تدخل في صورة عدوٍّ معلن، بل تتسلّل متخفّية في صورة حياةٍ طبيعية، وعاداتٍ مألوفة، وأعذارٍ مقبولة.

والخبر الصادق أن ما فسد بلا شعور...

١. يُصلَح بالانتباه أولًا،
٢. وبالوعي الذي يُوقظه الله في القلب،
٣. وما تراكم ببطء، يُعالَج بثباتٍ وصبر، وبالرجوع الصادق،
٤. وأن أول طريق الإصلاح ليس القسوة على النفس، ولا جلدها، بل الانتباه، ثم سؤال العون من الله، ثم المضيّ خطوةً خطوة.

فمن عرف كيف تسرّب الفساد إلى قلبه، عرف من أين يبدأ إصلاحه، وإذا صدق في ذلك، وسأل الله الهداية والتوفيق، فقد وضع قدمه على أول الطريق... **وهذه وحدها بداية النجاة**.

الذنب الذي لم أعد أراه ذنبًا... لأنه صار عادة

أخطر الذنوب ليست تلك التي نقع فيها ونحن خائفون أو مضطربون، بل تلك التي نفعلها ونحن مطمئنون، لا لأننا استحللناها أو جحدنا حكمها، بل لأن قلوبنا اعتادت وجودها حتى صارت جزءًا من المشهد اليومي لا يُستغرَب.

في البداية كان الذنب واضحًا، يُربك القلب، ويوقظه، ويستدعي استغفارًا سريعًا، ثم مع التكرار خفّ الألم، لا لأن الذنب صغر أو هان في ميزان الله، بل لأن القلب اعتاد، وكل ما يُعتاد يفقد حدّته في الإحساس.

العادة تُطفئ الحساسية، وتجعل الخطأ مألوفًا، والمخالفة جزءًا من اليوم، فنمارس الذنب بلا تمرّد داخلي، وبلا سؤال صادق: لماذا أفعل هذا أصلًا؟ ولا إلى أين يقودني هذا المسار؟

وهنا لا يعود الذنب مشكلة سلوكٍ فحسب، بل مشكلة قلبٍ ووجدان، لأن القلب إذا لم يتألم، لم يطلب الشفاء، وإذا لم يشعر بالخطر، لم يتحرّك طلبًا للنجاة.

نبدأ بتبرير العادة، نسمّيها ضعفًا بشريًا، أو مرحلة عابرة، أو ضغطًا واقعًا، وننسى أن أخطر ما فيها ليس وقوعها، بل أنها تُطفئ الإنكار الداخلي، فتظلّ الطاعة صحيحة في صورتها، منتظمة في شكلها، لكن ضعيفة الأثر في باطنها.

- فليس كل من يُصلّي قلبه حيًّا،
- ولا كل من يستغفر يكون قد تاب التوبة التي تُغيّر المسار،

← لأن التوبة الحقيقية تبدأ حين يعود الذنب ذنبًا في الوجدان،

← وحين نشعر أن وجوده في القلب غريب لا طبيعي،

← ومُقلِق لا مُتعايَش معه.

الذنب المعتاد لا يمنع العمل الظاهر،

- لكنه يمنع الحياة في العمل،

- ويُثقِل الصيام،
- ويُشوِّش الصلاة،
- ويجعل الذكر مجهودًا بلا سكينة،
- لأن القلب مشغول بما لم يُحسَم.

ومن رحمة الله تعالى أن الباب لم يُغلَق، وأن الاعتياد لا يعني القبول عند الله، ولا السقوط النهائي، وأن أول خطوة للخروج من هذا التِّيه ليست القَطع الكامل دفعة واحدة، بل استعادة الحسّ،

١. أن أرى الذنب ذنبًا من جديد،
٢. وأن أكرهه بقلبٍ صادق،
٣. وأن أطلب العون على مفارقته.

فحين يعود الذنب مؤلمًا، يعود القلب حيًّا، وحين نحزن لوجوده، ونشعر بثقله، نكون قد بدأنا طريق الخلاص، ولو لم نصل بعد، **لأن الله يقبل من عبده الصدق في الرجوع، ويُعينه على ما بعده بفضله ورحمته.**

الطاعة التي أؤدّيها بانتظام... لكنها بلا حضور ولا أثر

ليست المشكلة دائمًا في ترك الطاعة أو التفريط فيها، بل في أدائها بلا حياة، أن نُداوم على العمل ظاهرًا، بينما قلوبنا لا تُقيم فيه، ولا تحضر معه، ولا تتلقّى ما جُعِل له من تزكية وإحياء.

← نُصلّي لأننا اعتدنا الصلاة،
← ونذكر لأن الذكر صار جزءًا من الروتين،
← ونصوم لأن الصيام موسم ثابت،

لكن شيئًا في الداخل لا يتحرّك، ولا ينكسر، ولا يلين، كأن القلب حاضر

بالجسد، غائب بالمعنى.

هذه الطاعة صحيحة في صورتها، مُجزئة في حكمها، نرجو قبولها من الله بفضله، لكنها ضعيفة الأثر في واقع القلب، لأن الحضور غائب، ولأن الداخل لم يدخل معها، ولأن العمل سبق الوعي.

نؤدّي الفعل، بينما الذهن في مكان آخر، والقلب مشغول، والنفس تستعجل النهاية، فنخرج كما دخلنا، ثم نتساءل بصدق أو حيرة:

- أين الوعد؟
- أين التغيير؟
- أين ما قيل لنا عن أثر الطاعة؟

١. الطاعة بلا حضور تُشبه جسدًا بلا روح،
٢. تتحرّك وتؤدّي، لكنها لا تُحيي، ولا تُربّي،
٣. ولا تُصلِح ما فسد في الأعماق،
٤. لأن الإحياء ليس في الحركة وحدها، بل في ما يصاحبها من صدق وتوجّه.

وليست المشكلة أن الطاعة لا تعمل، ولا أن العبادة فقدت أثرها، بل أن القلب لم يعد يستقبل كما ينبغي، صار يُؤدّي ليُبرئ ذمّته، لا ليُصلِح علّته، فغابت المفاجأة، وغاب الرجاء، **وغابت الرَّهبة التي كانت توقظ الداخل.**

وهنا الخطر الصامت:

١. أن نعتاد الطاعة كما نعتاد الذنب،
٢. أن تصبح عملًا يُنجَز، لا لقاءً يُعاش،
٣. فنطمئن لأننا "ملتزمون"،
٤. بينما القلب يبتعد بهدوء، دون ضجيج يُنذر، ولا ألمٍ يُوقِف.

الطاعة التي بلا أثر ليست فشلًا، ولا علامة خذلان، بل إنذارٌ رحيم، يقول لك:

توقّف، لا عن العمل، بل عن طريقة الدخول إليه، وعن المعنى الذي تحمله وأنت تؤدّي.

فالحل ليس في ترك الطاعة، ولا في استبدالها، ولا في البحث عن عملٍ آخر، بل في إعادة القلب إليها، أن نسأل قبلها بصدق:

١. لماذا أفعل هذا؟
٢. وماذا أرجو أن يُصلِح الله به في داخلي؟
٣. وأين موضع افتقاري الحقيقي؟

وحين يعود الحضور بإذن الله تعالى، يعود الأثر، وحين يدخل القلب أوّلًا، تتحوّل الطاعة من انتظامٍ شكلي إلى حياة، ومن عادةٍ محفوظة إلى عبودية تُغيّر، لا لأنها كثيرة، بل لأنها صادقة.

كيف تُميت العادةُ الإحساسَ دون أن تُسقِط الشكل؟

لأن العادة لا تُهاجم الطاعة من خارجها، ولا تُخاصمها ظاهرًا، بل تسكنها من الداخل، وتُفرغها ببطء، دون أن تُسقِط صورتها أو تُبطِل شكلها، فيبقى الفعل قائمًا، بينما تنسحب روحه بهدوء.

في البداية يكون العمل حيًّا، يحمل دهشة اللقاء، وخشية الوقوف بين يدي الله، وثِقل المعنى الذي يُوقِظ القلب، ثم مع التكرار غير الواعي، ومع غياب السؤال، يتحوّل الفعل إلى مسار محفوظ، تتحرّك فيه الجوارح قبل أن يحضر القلب، ويُؤدَّى العمل قبل أن يُستدعَى المعنى.

- العادة لا تمنع الصلاة، لكنها تمنع الارتجاف،
- ولا تُسقط الذكر، لكنها تُسقِط الإصغاء،
- ولا تُبطِل الصيام، لكنها تُضعِف حضوره في النفس،

فيبقى الشكل سليمًا لأن الجسد تعلّم، ويذبل الإحساس لأن القلب لم يُستحضَر.. نُؤدّي الطاعة بلا مقاومة داخلية، ولا شوقٍ صادق، ولا خوفٍ يُوقِظ، فنحسب أن الاستمرار كافٍ، وننسى أن الطاعة لا تُربّي بالاستمرار وحده، بل بالحضور الذي يفتح لها أثرها.

العادة تُميت الإحساس لأنها تُغني عن السؤال، وحين يتوقّف السؤال يتوقّف التفاعل، ويصير الفعل مألوفًا لا مُنقِذًا، محفوظًا لا مُغيّرًا، فيهدأ الضمير، بينما لا ينمو القلب.

وهنا تكمن الخطورة الصامتة، لأن كل شيء يبدو "**صحيحًا**" في الظاهر،

١. الصلوات قائمة،

٢. والأذكار محفوظة،

٣. والنظام مستقر،

٤. فلا يُدقّ جرس إنذار، مع أن الحياة انسحبت بهدوء من داخل الفعل.

وأخطر ما في العادة أنها تمنح طمأنينة زائفة، تقول لك:

أنت بخير لأنك مستمر، بينما القلب يذبل دون ضجيج، ويعتاد الغياب كما اعتاد الفعل.

ولهذا فإن إحياء الإحساس لا يكون بكسر الشكل، ولا بهجر الطاعة، بل بكسر الألفة التي أطفأت المعنى،

← أن نُعيد السؤال،

← ونُبطئ الفعل،

← ونستحضر المقصود،

← ونسمح للطاعة – بإذن الله – أن تُفاجئنا من جديد.

وحين يُستعاد الإحساس، لا يتغيّر الشكل كثيرًا، لكن يتغيّر الإنسان، وتعود الطاعة لقاءً حيًّا، لا مسارًا محفوظًا، وعبودية تُربّي، لا عادة تُؤدَّى ثم تُنسى.

لماذا النِّيَّة ليست لفظًا... بل وعيًا ومواجهة؟

لأن اللفظ سهل، ولأن القلب لا يُخدَع بالكلمات، كانت النِّيَّة أعمق من أن تكون جملة تُقال قبل العمل، وأخطر من أن تُختزل في حركة لسان تُمهِّد للفعل دون أن تُغيِّر الداخل.

النِّيَّة وعي، وعيٌ بما أريد حقًّا، ولِمَ أريده، وماذا أطلب من هذا العمل في حقيقتي، لا في صورتي أمام نفسي ولا في الخطاب الذي أُحب أن أسمعه عن ذاتي.

كثيرون يلفظون النِّيَّة، لكنهم لا يسألونها، يُسمّون الله في البداية، ثم يسيرون بذواتهم القديمة، بنفس التعلّقات، ونفس التوقّعات، ونفس المسارات، فينفصل القول عن المقصد، ويُؤدَّى العمل بلا إعادة توجيه حقيقية.

النِّيَّة الحقيقية مواجهة، مواجهة مع السؤال الذي نهرب منه غالبًا:

١. هل أريد الله والقرب منه، أم أريد ما يمنحه العمل من شعورٍ بالطمأنينة؟
٢. هل أطلب التزكية، أم أكتفي بأن أطمئن أنني "على الطريق" دون أن أغيّر اتجاهي؟

ولهذا كانت النِّيَّة ثقيلة، لأنها لا تسمح بالهروب، ولا تقبل التجميل، ولا ترضى أن نبدأ العمل قبل أن نرى أنفسنا كما نحن، بضعفنا، وتعلّقاتنا، وحاجتنا الصادقة إلى الإصلاح.

فالنِّيَّة ليست تصريح دخول للطاعة، ولا بطاقة عبور شكلية، بل إعادة توجيه داخلية، تقول للقلب: لن تدخل كما اعتدت، ولن تحمل معك ما يُزاحم الله تعالى، ولن تطلب من العمل ما لا يُعطى إلا بالصدق والتخلّي.

ومن هنا نفهم لماذا لا تُصلِح النِّيَّة المنطوقة ما أفسدته نيَّة غائبة، فالعمل قد يبدأ بالكلمة، لكن الأثر لا يبدأ إلا بالوعي، وبالصدق الذي يسبق الحركة، وبالاستعداد الداخلي لقبول التغيير.

- فالنِّيَّة وعي بالضعف،
- وعي بالحاجة،
- وعي بأن هذا العمل ليس استعراض قدرة، ولا إثبات استحقاق،
- بل طلب إصلاح، ولقاء رحمة، وتسليم قيادة لله.

وحين تصير النِّيَّة مواجهة،

١. لا نطلب من الطاعة أن تُسكِّننا، بل أن تُغيّرنا،
٢. ولا نغضب إذا كشفتنا، بل نحمد الله لأنها فعلت،
٣. ولأنها بدأت تُعيدنا إلى الطريق.

فالنِّيَّة التي تُحيي..

١. هي التي تُجبرك على الصدق قبل الحركة،
٢. وعلى التخلّي قبل الإضافة،
٣. وعلى الوقوف لحظة ترى فيها نفسك على حقيقتها،

ثم تمشي إلى الله أخفّ، أصدق، وأقرب إلى القبول بإذنه سبحانه.

خريطة الإصلاح في شهر رجب

(كشف التُّربة... وزرع النِّيَّة)

رجب ليس شهر إضافة أفعال، ولا مضاعفة جداول، ولا اختبار همم، بل شهر تأسيس داخلي هادئ، يُعاد فيه ترتيب العلاقة مع الله قبل أن تبدأ كثافة المواسم، وتُفحَص فيه القابلية قبل أن يُطلب الأثر.

أولًا: ما وظيفة رجب التربوية؟

وظيفته أن يكشف، لا أن يُبهِر، وأن يُوقِظ، لا أن يُرهِق،
وأن يُعيد السؤال إلى الداخل قبل أن ينطلق العمل إلى الخارج.

في رجب لا نُسأل: ماذا ستفعل؟
بل: بأي قلبٍ ستدخل ما بعده؟

ثانيًا: خريطة الإصلاح خطوة خطوة

١. التوقّف الواعي قبل الاندفاع

- أن يتعلّم المسلم في رجب أن يتوقّف قليلًا، لا عن الطاعة، بل عن الجري غير الواعي..
- أن يكسر اندفاع العادة..
- وأن يسمح للسؤال أن يسبق الحركة،

فما لم يُفحَص في التوقّف، سيتسلّل إلى العمل ويُثقِل أثره.

٢. كشف التربة دون تجميل

أن ينظر بصدق إلى قلبه كما هو، لا كما يُحب أن يراه،
أن يسأل:

- ما الذي يُثقِل حضوري؟
- ما الذنب الذي صار عادة؟
- ما التعلّق الذي أُخفيه باسم "الظرف" أو "المرحلة"؟
- ما الطاعة التي أؤدّيها بلا حضور؟

هذا الكشف ليس لإدانة النفس، بل لإنقاذها من تكرار موسمٍ آخر بلا ثمرة.

٣. استعادة الحسّ القلبي

- أن يعمل المسلم في رجب على أن يعود الذنب ذنبًا في وجدانه،
- وأن تعود الطاعة لقاءً لا عادة،
- وأن يستعيد القلب قدرته على الانزعاج من الخطأ، والتأثّر بالذكر، والشعور بثِقل الغياب... **فمن لا يشعر... لا يتغيّر.**

٤. زرع النِّيَّة بوصفها وعيًا لا لفظًا

أن يزرع نية واعية قبل أي زيادة في العمل،
نية تُسمّي ما تريد إصلاحه بوضوح،
خُلُقًا، أو تعلّقًا، أو ذنبًا،
لا نية عامة فضفاضة، بل نية صادقة محدّدة.

في رجب لا نُكثِر "سأفعل"، بل نُصحِّح "لماذا أفعل".

٥. تخفيف الحمولة قبل الدخول

أن يُخفّف المسلم ما يستطيع تخفيفه من الضجيج،

- من المقارنات،
- من الانشغال الزائد،
- من فتح الجراح القديمة بلا ضرورة،
- من تحميل القلب أكثر مما يحتمل.

القلب المزدحم لا يستقبل، ولو كثرت الطاعات.

٦. اتخاذ قرار صغير غير مؤجَّل

رجب ليس شهر القرارات الكبرى المتضخّمة،
بل شهر القرار الصغير الصادق،

- ذنب واحد يُواجَه،
- عادة واحدة يُعاد النظر فيها،
- تعلّق واحد يُسمّى باسمه.

قرار واحد، لكن غير معلّق على رمضان.

٤. تسليم الإصلاح لله لا للنفس

أن يفهم المسلم أن رجب ليس شهر "إصلاح الذات بالقوة"،

- بل شهر صدق الطلب،

- وسؤال العون،
- وتسليم القيادة لله.
- نزرع... والله تعالى يُنبت،
- نكشف... والله تعالى يُصلِح،
- نصدق... والله تعالى يُبارك.

ثالثًا: ماذا لا يُطلَب في رجب؟

١. لا يُطلَب سباق نوافل،
٢. ولا استعراض التزام،
٣. ولا تحميل النفس برنامجًا طويلًا،
٤. ولا انتظار شعور خاص،
٥. ولا مقارنة مع غيرك.

رجب لا يُقاس بما أُنجِز، بل بما انكشف.

رابعًا: ثمرة رجب الصحيحة

إذا خرج المسلم من رجب وقد:

١. صار قلبه أخفّ،
٢. ووعيه أصدق،
٣. وسؤاله أوضح،
٤. ونِيّته أهدأ،
٥. وتعلّقاته مكشوفة أمامه،

فقد دخل شعبان وهو ثابت، ورمضان وهو مُستعد،
ولو كانت أعماله قليلة.

الخلاصة الجامعة

- ◄ رجب ليس شهر العمل، بل شهر القابلية،
- ◄ ليس شهر الزيادة، بل شهر الإصلاح الهادئ،
- ◄ ليس مقدّمة زمنية لرمضان، بل مقدّمة قلبية له.

ومن أحسن رجب، لم يحتج أن يُرهِق نفسه فيما بعد،
لأن الله يتولّى من صدق معه في البداية.

الهدف التربوي

١. إيقاظ الحسّ الأخلاقي الذي خَدِر تحت الاعتياد،
٢. وإعادة القدرة على الشعور بالخطأ بوصفه خطأً، لا بوصفه عادةً أو مرحلة،
٣. وتحويل رجب من شهرٍ يمرّ بلا أثر إلى شهر وعيٍ صامت، يُمهِّد لقلبٍ يدخل ما بعده وهو يرى طريقه بوضوح.

دعاء ختامي:

اللهم إنّي لا أرفع إليك صوتي، لأن ما في قلبي أوضح من الكلام،
وأثقل من أن يُقال سريعًا... اللهم إنّي أقف بين يديك لا بما أُحسِن،
بل بما أُقصِّر، ولا بما أظهر، بل بما أخفي،
ولا بما فعلت، بل بما أخّرتُ مواجهته طويلًا.
اللهم اكشف لي قلبي كما هو، لا كما أحبّ أن أراه،
ولا كما أُحبّ أن يراه الناس، بل كما تعلمه أنت، لتُصلِحه..

اللهم إنّي أسألك وعيًا لا يُجامِل، وحسًّا لا ينام،

وشجاعةً تُقدِّم الصدق على الراحة،

ولا تجعلني ممّن يستكثر العمل ويُؤجِّل التغيير.

اللهم لا تدخلني مواسمك وأنا أحمل ما يُزاحمك في قلبي،

ولا تجعل طاعتي عادةً بلا حضور، ولا دُعائي لفظًا بلا مواجهة.

اللهم ازرع في قلبي نيةً صادقة، تُقلقني قبل أن تُطمئنني،

وتُصلِحني قبل أن تُريحني، وتقودني إليك

ولو خالفت هواي.

اللهم إن كان في داخلي ما يمنع القرب، فأرِنيه،

وإن كان في طريقي ما يُثقِلني، فخفِّفه،

وإن كنتُ أهرب من قرارٍ أعرفه، فلا تتركني لنفسي.

اللهم اجعل رجب بداية وعي، لا موسم غفلة لي،

وبداية رجوع، لا مجرّد انتظار، حتى إذا أقبلتُ عليك بعده،

أقبلتُ بقلبٍ يرى طريقه، ويعرف لماذا يمشي، وإلى أين... آمين.

والآن كلمة لا بُدَّ منها...

حين تتحوّل أعمال رجب إلى منشورات... ويُنسى القلب

حين يدخل رجب، تمتلئ الشاشات فجأة بقوائم الأعمال:

١. صيام أيامٍ معدودة،

٢. أذكارٍ بعددٍ معلوم،

٣. قيامٍ بترتيبٍ محفوظ،
٤. أدعيةٍ تُنسَخ وتُلصَق،
٥. ومنشوراتٍ تُتداوَل بحسن نية،

فيشعر كثيرون بالطمأنينة لأنهم "**دخلوا الموسم**"، وكأنَّ الطاعة صارت إجراءً يُنجَز، أو مهمةً تُضاف إلى جدول الحياة، **لا مسارًا يُعيد تشكيل القلب من الداخل**.

وليس الاعتراض هنا على الصيام، ولا على الذكر، ولا على العمل الصالح إذا وافق سنة النبي ﷺ وثبتت مشروعيته، فهذه أبواب خيرٍ عظيمة، ولا يوجد مُصلح يُخاصم القُربات، ولا عاقل يعادي الطاعة،

ولكن الخلل يبدأ:

١. حين تتحوّل هذه الأعمال إلى بديلٍ عن المواجهة،
٢. وإلى ساترٍ يمنع النظر إلى الداخل،
٣. وإلى راحة ضمير تُغني عن صدق التوبة.

السؤال المؤلم الذي نادراً ما يُطرَح هو سؤال الأثر لا العدد؛

- لماذا صام الملايين؟
- ولماذا ذكر الملايين؟
- ولماذا التزم الملايين بهذه القوائم عامًا بعد عام،

ثم بقيت القلوب على حالها؟

١. نفس الغضب،
٢. نفس القسوة،
٣. نفس التعلّقات،
٤. نفس الذنوب التي تغيّر شكلها ولم تغادر مكانها،
٥. نفس الاندفاع الموسمي يعقبه نفس الانطفاء.

المشكلة لم تكن يومًا في قِلّة الأعمال، ولا في ضعف البرامج، ولا في غياب المواسم، بل في هذا الاختزال الخطير للدين في الحركة، **ونسيان أن القلب هو محلّ نظر الله**، وأن العمل بلا قلب قد يُجزئ في الظاهر، لكنه لا يُحيي في الباطن، ولا يُربّي، ولا يُغيّر المسار.

تحوّلت أعمال رجب عند كثيرين:

- إلى طقسٍ اجتماعي يُطمئن الضمير، لا إلى مشروع إصلاح،
- إلى منشور يُشارَك، لا إلى وقفة يُواجَه فيها الداخل،
- صاموا ولم يُحاسِبوا أنفسهم،
- ذكروا ولم يُسمّوا تعلّقاتهم،
- أطالوا القيام ولم يُخفّفوا أثقالهم،
- فدخلوا رمضان كما خرجوا من رجب، أعمالًا أكثر، وأثرًا أقل.
  - الخلل ليس في أن تعمل، بل في أن تعمل هربًا من السؤال،
  - وفي أن تُكثِر الحركة لتتجنّب المواجهة،
  - وفي أن تجعل الطاعة نفسها أداة تأجيل للإصلاح بدل أن تكون بابًا له...

وهنا تقع الكارثة التربوية الكبرى:

١. أن تُستَخدم الطاعة لتسكين الوجدان،
٢. وأن يُستَخدم الموسم لتأجيل القرار،
٣. وأن يُقاس القرب بعدد الأيام لا بصدق التغيير.

لم يكن رجب لِيُستهلَك في كثرة الأعمال، ولا لِيُعرَض فيه التدين، بل قُدِّر:

- أن يكون شهر كشف،
- شهر صدق،
- شهر وقوف صريح مع القلب قبل زحمة المواسم.

لأن الأعمال القلبية ليست بديلًا عن الطاعات الظاهرة، لكنها شرط حياتها، وما لم تُزرَع في رجب، **فلن تُنقِذ كثرة الصيام في شعبان، ولا ازدحام القيام في رمضان.**

وليكن الكلام واضحًا بلا مواربة:

لسنا ضد الصيام، ولا ضد الذكر، ولا ضد العمل المشروع، لكننا ضد الوهم القاتل الذي يجعل الناس يظنون:

١. أن التغيير يأتي بالكثرة،
٢. وأن الله تعالى يُطال بالحركة لا بالصدق،
٣. وأن القلب تابعٌ ثانوي يمكن تجاوزه،
٤. وقد صام كثيرون ولم يتغيّروا،
٥. وقام كثيرون ولم تلن قلوبهم،
٦. وذكر كثيرون ولم تزكُ بواطنهم،
٧. لأنهم دخلوا العمل بلا قلب، وطلبوا من العبادة ما لم يُهيِّئوا له موضعًا.

فإن خرجتَ من **رجب** بقائمة أعمال محفوظة، وقلبٍ لم يُواجَه، فاعلم أنك لم تدخل **رجب** بعد، وإن أكثرت الطاعة وقَلَّ الأثر، فاعلم أن السؤال لم يُطرَح في مكانه الصحيح...

← لأن **رجب** ليس شهر: "**ماذا أفعل؟**" بل شهر "**من أنا حين أفعل؟**"
← و"**ما الذي أحمله معي إلى الطاعة؟**" و"**ما الذي يجب أن يُصلَح قبل أن أطلب البركة؟**".

ومن هنا تُختم الحقيقة بلا مجاملة:

الأعمال التي لا تُغيّر صاحبها ليست فشلًا شرعيًا، لكنها فشل تربوي، ودليل أن القلب غاب عن الموضع الذي أراده الله..

فإن أردت أن تدخل شعبان ثابتًا، ورمضان مُثمِرًا، فلا تبدأ بالقائمة، ولا

بالمنشور، ولا بالمقارنة، بل ابدأ بالقلب، لأنه وحده إذا صَلُح حملت الطاعة أثرها، وإن تُرِك، فلن تُنقِذه كثرة المواسم.

خاتمة باب شهر رجب

حين نرى التربة قبل أن نطلب الحصاد، نفهم أن رجب لم يكن محطة عبورٍ زمنية، ولا مجرّد مقدّمة تقليدية لما بعدها، بل لحظة كشفٍ مقصودة، أُريد لها أن تُوقِفنا أمام أنفسنا على الحقيقة، قبل أن نُطالِب الطاعة أن تُغيِّرنا، وقبل أن نُحمِّل العبادة ما لا تؤتي ثمرته إلا بإذن الله ومع صدق التهيئة.

في هذا الباب لم نبحث عن زيادة الأعمال، ولا عن برامج مُحكَمة، ولا عن حماسةٍ سريعة تنطفئ، **بل عن صدق الرؤية**،

١. لأن العمل إذا سبق الوعي صار تكرارًا،
٢. وإذا سبق الكشف صار عبئًا،
٣. ولأن الله سبحانه لا يُثمِر العمل في قلبٍ لم يُهيَّأ لاستقباله.

وتعلّمنا في رجب أن أخطر ما يُفسد الطاعة

← ليس الذنب الظاهر وحده، بل الذنب الذي اعتدناه حتى غاب إنكاره من القلب..

← ولا التقصير الصريح فحسب، بل الطاعة التي تُؤدّى بلا حضور،

← ولا التسويف الفجّ فقط، بل التسويف المتديّن الذي يُؤجِّل المواجهة باسم الموسم، ويستبدل القرار بالانتظار.

وتبيّن لنا أن النِّيَّة ليست لفظًا يُقال، ولا حركة لسان، بل مواجهة تُعاش، وصدق توجّه، وأن القلب لا يُصلِحه مجرّد مرور الزمن، ولا تُغيّره المواسم بذاتها، بل يُصلِحه الله إذا صدق العبد في الرجوع، واتخذ القرار، وسأل العون، وتهيّأ

للقبول، وأن الكثرة وحدها لا تُحيي، بل القابلية التي يضعها الله في القلب إذا صلح الاستعداد.

- وفي رجب لم نزرِع أفعالًا، بل زرعنا أسئلة صادقة،
- ولم نُراكم خطوات، بل خفّفنا الأحمال،

لأن التربة إن لم تُنقَّ، وإن لم تُزال عنها ما يَخنقها، اختنقت البذرة، ولو كانت صالحة في أصلها، ولا ينفع معها تكثير السَّقي ولا استعجال الثمرة.

وهذه الخاتمة لا تعني أن الطريق قد اكتمل، ولا أن القلب قد صلح، ولا أن الإصلاح قد تمّ، بل تعني أن الاتجاه صار أوضح، وأن الوهم قد سقط، وأن الداخل لم يعد مخفيًا خلف كثافة العمل، وأن العبد صار أبصر بمواضع حاجته، وأصدق في طلب عون ربه.

فمن خرج من **رجب** وهو يرى ما في قلبه على حقيقته، ولو لم يُصلِحه بعد، فقد ربح أعظم ما فيه، وهو الصدق مع النفس، وأول خطوة في طريق الرجوع إلى الله، لأن من عرف موضع دائه، وسأل الشفاء، لم يُحرَم الدواء بإذن الله.

وهكذا يُغلق باب **رجب** كما ينبغي، لا بوعدٍ كبير، ولا بإنجازٍ يُعلَن، ولا براية تُرفَع، بل بوعيٍ هادئ يقول للقلب:

الآن عرفتُ ما في الأرض، وسأمضي إلى الله وأنا أرى، وحين يأتي وقت الزرع، وأسأل الله البركة، أزرع وأنا أرجو منه سبحانه أن يُنبت، ويُصلِح، ويُتمّ، فهو وحده الذي بيده القلوب، وبيده الثمر، وبيده تمام الطريق.

الباب الثاني: شعبان: شهر السُّقيا الهادئة لا الاستعراض

(ما يُسقى في الخفاء... يعيش في العلن بإذن الله)

- بعد الكشف يأتي التثبيت،
- وبعد الرؤية يأتي الصبر،
- وبعد أن نعرف ما في الأرض على حقيقته،

لا نحتاج ضجيجًا جديدًا ولا اندفاعًا آخر، بل نحتاج سُقيا هادئة، وسؤال عون، وثباتًا يُتمّه الله:

١. **لأن ما يُكشف بلا تثبيت يذوب:** الكشف هو لحظة صدقٍ حادّة؛ ترى فيها عيبك، أو تُبصِر حقيقة طريقك، أو تفهم سبب سقوطك.. لكنها لحظة عابرة إن لم تُربَط بعادةٍ ثابتة، أو قرارٍ صغيرٍ يُداوَم عليه، أو نظامٍ يُحافظ على هذا الوعي... فالقلب بطبعه ينسى، والنفس تعود إلى مألوفها سريعًا، والبيئة تشدّك إلى ما كنت عليه.. لذلك يذوب الكشف حين يبقى فكرةً جميلة بلا ممارسة، أو إحساسًا صادقًا بلا التزام يومي، كالماء الذي يُسكب على أرضٍ صلبة لا جذور فيها.

٢. **وما يُرى بلا رعاية لا يبقى:** الرؤية هنا أعمق من مجرد معرفة؛ هي أن ترى ضعفك، وطاقتك، وحدودك، ونقطة نجاتك.. لكن هذه الرؤية تحتاج رعاية: متابعة، ومراجعة، وصبرًا على التدرّج، ورحمةً بالنفس عند التعثّر.
فالحقيقة التي لا تُسقى تُنسى، والبذرة التي لا تُحاط بالعناية تذبل، مهما كانت صالحة.. ليس كل ما نراه قادرًا على البقاء وحده؛ بعض الحقائق تحتاج حضنًا طويلًا من الصبر حتى تستقر في السلوك وتتحوّل من وعيٍ مؤقّت إلى خُلُقٍ دائم.

الخلاصة الضمنية: ليست المشكلة في قِلّة ما نراه، بل في قِلّة ما نثبّته ونرعاه.

ولهذا كان **شعبان**:

- شهر الثبات لا الاكتشاف،
- والحراسة لا الاندفاع،
- والسُّقيا الهادئة لا الصدمة.

شعبان لا يأتي ليُدهشنا، ولا ليُنافس المواسم الكبرى، ولا ليُطالبنا بإثباتٍ جديد، بل ليُعلِّمنا:

١. أن ما يُبنى حقًّا لا يُبنى أمام العيون،
٢. وأن ما يُراد له البقاء لا يُنشأ بالضجيج،

بل بالصبر الخفي، والعمل الذي لا يبحث عن شاهد، ولا عن تصفيق.

◄ في هذا الشهر لا يُطلَب من القلب أن يركض، بل أن يثبت،
◄ ولا من الطاعة أن تظهر، بل أن تُروى،

لأن ما كُشِف في **رجب** إن لم يُسقَ في **شعبان**، وإن لم يُحفَظ بالهدوء والمداومة وسؤال التوفيق، ذاب تحت أول ضغط، وضاع عند أول اختبار، مهما بدا قويًّا في لحظة الكشف.

شعبان ليس شهر إظهار الأعمال ولا ميدان استعراض الطاعات ولا ساحة مقارنة بين الناس؛ ليس زمن:

- من أكثر
- ولا من أطول
- ولا من أنشط،

بل هو مرحلة أهدأ وأعمق من كل ذلك، مرحلة تثبيت بعد الفهم وسقيا خفيّة لما بدأ يتشكّل في الداخل، حتى:

١. لا يكون الوعي ومضة عابرة،
٢. ولا القرار حماسة سريعة،

٣. ولا النِّيَّة لحظة صدق ثم انطفاء.

كثير من الناس يعرفون الحق ويصلون إلى لحظة صفاء صادقة، يرون فيها أخطاءهم ومواضع ضعفهم ويعزمون بصدق على التغيير، لكن ما إن تمضي الأيام حتى يخفّ الأثر وتبرد النِّيَّة، لا لأنهم كاذبون، بل:

- لأن ما رأوه لم يُحفظ،
- وما فهموه لم يُرعَ،
- وما عزموا عليه تُرك بلا صبر ولا متابعة.

وشعبان يأتي ليعلّم القلب هذا المعنى البسيط العميق:

١. أن التغيير الحقيقي لا يحب الضجيج،

٢. وأن الإصلاح لا يقوم على الاندفاعات،

٣. وأن القلوب لا تُربّى بالقفزات السريعة،

بل بالثبات الهادئ، والخطوات الصغيرة التي تُداوَم عليها دون ملل أو استعجال.

في شعبان...

- لا نبحث عن أعمال تُرى، بل عن معانٍ تثبت،
- ولا نطلب كثرة تُحصى، بل صدقًا يُحفظ،

١. لأن الله تعالى لا يُثمر ما لا يُصان،

٢. ولا يبارك في نية تُهمَل،

٣. ولا يُتمّ خيرًا لم يُحَط بالصبر،

فكل ما ثَبَتَ بقي، وكل ما حُفِظَ أثمر، وما عدا ذلك فسرعان ما يذوب مع أول فتور.

في شعبان...

١. في شعبان لا يكون التركيز على كثرة الأعمال ولا تنويعها، بل على

حفظ ما بدأناه فعلًا؛ أن نحرس عبادة واحدة، أو خُلُقًا واحدًا، أو قرارًا صادقًا، فنحميه من التراخي والانقطاع، لأن القليل الذي يُداوَم عليه أصدق عند الله تعالى من الكثير الذي يُترك سريعًا.

٢. ولا نرفع سقف التطلعات والوعود العالية التي تُرهق النفس ثم تُسقطها، بل نُعمّق الجذور في الداخل؛ نثبّت المعنى في القلب، ونربط العمل بالنِّيَّة، ونجعل الطاعة جزءًا من اليوم لا عبئًا طارئًا، **فالجذور العميقة وحدها هي التي تصمد حين تأتي رياح الفتور.**

٣. ولا نبحث عن أثرٍ سريع أو شعورٍ فوري بالإنجاز، بل نطلب ثباتًا هادئًا يرضي الله تعالى ولو لم يشعر به أحد، لأن الله تعالى لا ينظر إلى سرعة النتائج، بل إلى صدق الاستمرار، وما كان ثابتًا لله دام ونما، وما كان استعجالًا سرعان ما انطفأ.

لأن ما يُسقى في الخفاء، ويُرعى بصدق، ويُسأل الله تمامه، هو وحده القادر على الحياة في العلن حين يأتي وقتها.

- هذا شهر الصمت المُنتِج،
- والعمل الذي لا يُرى،
- والقرار الذي لا يُعلَن،
- والثبات الذي لا يحتاج شاهدًا،

لأن العبد هنا...

١. لا يربّي صورته، بل يحرس قلبه،

٢. ولا يطلب الإعجاب، بل القبول،

٣. ولا يعتمد على جهده، بل على توفيق الله وستره.

ومن تعلّم في شعبان:

← كيف يحفظ ما رأى،

←وكيف يسقي ما انكشف،

←وكيف يثبت على قرارٍ صغير صادق،

دخل رمضان لا ليبدأ من جديد، بل ليُثمِر بإذن الله...

١. لأنَّ الزرع لم يكن طارئًا،

٢. ولا السقيا موسمية،

٣. ولا القلب غريبًا عن الطريق.

والفكرة المحورية هنا واضحة لا لبس فيها:

◄ **شعبان** ليس شهر الاندفاع، بل شهر التثبيت،

◄ وليس وقت إثبات الهمّة، بل وقت حماية الاتجاه،

←فمَن ضيّع **شعبان** في الاستعراض، دخل رمضان مُثقَلًا،

←ومَن أحسن سقياه في الخفاء، وسأل الله البركة، ورعى القليل بثبات، رأى أثره في العلن حين شاء الله... وكيف شاء... ولمن شاء.

لماذا يفسد الاستعراض ما لا يفسده التقصير؟

لأن التقصير ضعف، والضعف باب افتقار، والافتقار موضع عونٍ ورحمة، أمّا الاستعراض فخلل في الوجهة، والخلل في الوجهة قد يُفسِد العمل ولو كثر، لأن الله إنما ينظر إلى القلوب والمقاصد قبل كثرة الصور والحركات.

المُقصِّر يعلم في داخله أنه محتاج، فيبقى باب الرجوع مفتوحًا، ويظلّ قلبه قابلاً للجبر، يسأل الله العافية، ويطلب الإصلاح..

مثال توضيحي عن المُقصِّر:

رجلٌ يصلّي، لكن صلاته غير منتظمة، تفوته أوقات، ويقع في ذنوب يعرف أنها تُثقِل قلبه، كلما سمع موعظة عن القرب من الله أو ذُكِّر بالتوبة شعر بوخزة

صادقة في داخله، لا يُجادل ولا يُبرِّر، بل يقول في نفسه: أنا محتاج... أنا ضعيف... قد لا يُحسِن التعبير، وقد لا يغيّر حاله سريعًا، لكنه حين يرفع يديه يسأل الله العافية بصدق، وحين يسقط لا يُخاصم الحق، وحين يرى الصالحين لا يحتقر نفسه ولا يزدريهم، بل يرجو أن يلحق بهم يومًا، ولذلك يبقى قلبه قابلًا للجَبر، لأن باب الرجوع في داخله لم يُغلق... أمّا **المستعرِض** فيشعر بالاكتفاء، ويظنّ — من حيث لا يشعر — أنه قد أدّى ما عليه، فيغلق باب المراجعة، لا عنادًا، بل وهمًا، لأن الصورة خدعته عن الحقيقة.

مثال توضيحي عن المُستعرِض:

رجلٌ محافظ على نوافل كثيرة، يتحدّث عن قيامه وصيامه، ويحرص على أن يُرى أثر ذلك في كلامه وحضوره، فإذا سمع تذكيرًا بالمراجعة أو محاسبة النفس لم يجد نفسه معنيًّا به، بل مرَّ الكلام على قلبه باردًا، لأنه يشعر في قرارة نفسه أنه قد أدّى المطلوب، وأن الخلل عند غيره لا عنده... هو لا يرفض النصيحة صراحة، ولا يُخاصم الحق علنًا، لكنه لا يدخلها على نفسه أصلًا، لأن صورة الصلاح التي كوّنها عن ذاته خدعته عن حقيقة حاجته، فبقي ظاهرُه عامرًا، وباب المراجعة في داخله موصدًا دون أن يشعر.

الاستعراض لا يُسقِط الطاعة في ظاهرها، ولا يُبطِل صورتها، لكنه يُبدِّل مقصدها، فتتحوّل من غذاءٍ للقلب يُراد به القرب من الله، إلى صورةٍ للذات تُراد بها الطمأنينة إلى النفس، ومن تثبيتٍ هادئ يُطلب به الإخلاص، إلى إثباتٍ علني يُراقَب فيه الأثر والظهور.

التقصير يُوجِع، والوجع — إذا صاحبه صدق — يُوقِظ، ويُعيد القلب إلى موضع الحاجة، أمّا **الاستعراض** فيُسكِّن، والتسكين يُخدِّر، فتستمرّ الحركة، وتبقى الجوارح نشطة، بينما يتوقّف النمو في الداخل، ويذبل المقصود من غير أن يُلاحَظ.

المُقصِّر يسأل:

١. كيف أُصلِح ما قصّرت فيه؟
٢. وكيف أعود؟
٣. وكيف أستعين بالله؟

أمّا المستعرِض فيسأل – دون أن يُصرِّح –:

١. كيف أبدو؟
٢. وكيف أُحافِظ على هذه الصورة؟
٣. وكيف لا تنكسر أمام الناس؟
٤. فينقلب الميزان، وتُزاح البوصلة عن موضعها الصحيح.

ولهذا يفسد **الاستعراض** ما لا يفسده **التقصير**، لأنه لا يجرح الشعور، ولا يُقلِق الضَّمير، بل يُرضي النفس، ويجعل القلب يراقب صورته بدل أن يراقب صدقه، ويطلب السَّلامة الظاهرة بدل السلامة عند الله.

وفي **شعبان**، حيث المطلوب تثبيت لا إظهار، وسقيا لا ضجيج، وحراسة قرار لا إعلان نيَّة، يكون الاستعراض قاتلًا صامتًا، يسرق من القرار ثباته، ويُحوِّل العمل الخفي إلى مشروع عرض، ويُبدِّد أثر السُّقيا قبل أن يكتمل النمو.

التقصير قد يُبطِّئ المسير، لكنه لا يُغيِّر الوجهة، أمّا **الاستعراض** فقد يُسرِع الخطوات، لكنه يُضلّ الطريق، والفرق بينهما أن الأول يحتاج جبرًا ورحمة، والثاني يحتاج كسرًا للهوى، وإعادة توجيه صادقة، وسؤالًا خفيًا لله أن يُخلِص القلب مما علق به.

- ومن هنا نفهم لماذا كان العمل الخفي أصدق في التثبيت،
- ولماذا نُطالَب في **شعبان** أن نعمل دون شهود، وأن نسقي دون ضجيج، وأن نحرس النِّيَّة بعيدًا عن الأعين، حتى إذا جاء وقت الظهور، وجاء موسم العَلن، كان الأثر بإذن الله صادقًا، ونابعًا من الداخل، لا مُصطنَعًا ولا مُثقَلًا بالصورة.

السُّقيا الخفية: كيف نثبت قرارًا واحدًا دون ضجيج؟

لأن القرار إذا لم يُسقَ ذبل، ولأن السُّقيا إذا صارت عرضًا أفسدت، كان لا بدّ في **شعبان** من تعلّم فنّ التثبيت الصامت، ذلك التثبيت الذي يُطلَب فيه الصدق قبل الكثرة، وسؤال العون قبل الاتكال على النفس، لأن ما لا يُثبّتِه الله لا يثبت، ولو أُحسن ظاهره.

السُّقيا الخفية..

- لا تعني الكثرة، بل الاستمرار،
- ولا تعني التنويع، بل الوفاء،
- ولا تعني الإنجاز المرئي، بل الحراسة الصادقة لما أُخِذ على النفس عهدًا، مع افتقارٍ دائم إلى توفيق الله وستره.

١. ابدأ بقرارٍ واحدٍ فقط، واضحٍ في مقصده، صادقٍ في سببه، تعرف لماذا اتخذته، وتعرف ما الذي تريد أن يحميه في قلبك، ولا تُغْرِك كثرة الخيارات، ولا تُشتّتك تعدّد المسارات، فالقرار الذي لا يُحمى يَتبدّد مهما كان جميلًا، وما لم يُسقَ بثبات لا يعيش طويلًا.

٢. اسقِ قرارك بالقليل الثابت، بعملٍ صغير لا يلفت النظر، لكنه لا يُترك، وبخطوةٍ لا تُعلَن، لكنها لا تُهمَل، فالثبات لا يحتاج جمهورًا، بل يحتاج صدقًا، واستعانة، وصبرًا على بطء الطريق.

٣. واحفظ قرارك من كثرة الكلام عنه، لأن الكلام يُبدِّد حرارة العزم، ويُخرج العمل من القلب إلى الصورة، ومن المسار إلى المقارنة، ويجعل النفس تراقب الأثر قبل أن يكتمل التثبيت.

٤. واحمه من الاستعجال، لأن التغيير الحقيقي بطيء، وما يثبت ببطء يصمد طويلًا بإذن الله، وما يُستعجَل يذبل قبل أن يقوى، ولو بدا واعدًا في بدايته.

٥. واحمه كذلك من جلد الذات، فالسُّقيا ليست قسوة، ولا التثبيت تعنيفًا

للنفس، وإن فات يوم أو ضعفت خطوة، فلا تهدم المسار، بل عُد بهدوء، واستغفر، وجدّد العهد، فالذي يُسقَى يُراعى، ولا يُجلَد.

في **شعبان** لا نُراكم الأعمال، ولا نُظهِر النيات، ولا نُجرِّب كثيرًا، بل نحرس قرارًا واحدًا، ونسقيه بصمت، حتى يصير عادة حيّة تُقوّي القلب، لا عادة ميتة تُؤدّى بلا حضور.

والسُّقيا الخفية هي أن تفعل ما اتفقتَ عليه مع الله تعالى،

← ولو لم يرك أحد،

← ولو لم تشعر بشيء،

← ولو لم تُكافأ سريعًا،

← مع يقينٍ أن الله يرى،

← وأنه يُتمّ على من صدق ما بدأه،

← ويُبارك في القليل إذا حُفِظ.

١. ومن أحسن السُّقيا في الخفاء،
٢. وسأل الله الثبات،
٣. ودخل شعبان بحراسةٍ صادقة،

دخل رمضان وقراره قائم، وقلبه ثابت، وطاعته مهيّأة للثمر بإذن الله، لا للبداية من جديد، **لأن ما ثُبِّت قبل الموسم، أثمر حين جاء وقته.**

شعبان وحراسة النِّيَّة من التآكل

النِّيَّة لا تنهار فجأة، ولا تسقط بضربة واحدة، بل تتآكل ببطءٍ صامت،

١. حين تُترك بلا حراسة،
٢. وحين يظنّ صاحبها أن صدق البداية كافٍ لنهاية الطريق،

٣. وينسى أن القلوب بين أصابع الرَّحمن،

٤. وأن الثبات فضلٌ يُسأل لا حالةٌ تُضمَن.

◄ **في شعبان... لا يكون الخطر الأكبر في ترك العمل، بل في تغيّر الدافع،**

١. أن يبدأ العبد عمله لله،

٢. ثم يُكمِله بدافع النفس،

٣. ثم يستمرّ فيه لأن الناس يرون،

٤. فيتحوّل المقصود دون أن ينتبه،

٥. ويبقى الشكل قائمًا بينما الوجهة تنزاح.

◄ **وتتآكل النِّيَّة...**

١. حين يكثر الكلام عن العمل،

٢. وحين يُراقَب أثره على الصورة،

٣. وحين يُقاس بغيره،

٤. وحين يُطلب الشعور قبل الصدق،

لأن ما كان لله خالصًا لا يحتاج شاهدًا، ولا يعيش على التصفيق، ولا يقوى في بيئة المقارنة.

◄ **وتتآكل النِّيَّة كذلك...**

١. حين نحمّل القرار فوق طاقته، فنطالبه أن يُغيّر كل شيء دفعة واحدة،

٢. وأن يُشعرنا دائمًا بالطمأنينة واللذة، فإذا لم يفعل تسلّل الفتور، ودخل الشَّك، وبدأ القلب يساوم بدل أن يستعين بالله على الثبات.

◄ **وشعبان هو شهر الحراسة لا شهر التوسعة،**

١. فيه نُقلّل مصادر التشويش،

٢. ونُغلق أبواب المقارنة،

٣. ونُخفِّف الضجيج،

٤. ونُعيد النِّيَّة إلى أصلها البسيط الصادق: أن نطلب رضا الله، لا أن نُقنِع أنفسنا، ولا أن نُرضي غيرنا، ولا أن نُطمئن صورتنا.

◄ **وحراسة النِّيَّة...**

١. تعني أن نُراجعها كل يوم، لا بصوتٍ عالٍ ولا بخطابٍ معلَن، بل في السِّرّ بيننا وبين الله: لمن أفعل هذا اليوم؟ ولو غاب الثناء، ولو لم أشعر بشيء، ولو لم يُلاحَظ جهدي، هل أستمرّ ابتغاء وجه الله؟

٢. وتعني أيضًا أن نقبل الفتور دون أن ننسحب، وأن نُكمِل القرار في الأيام العادية الهادئة، لأن النِّيَّة التي لا تعيش في العادي لا تصمد في المواسم، **ولأن الله يُبارك في الاستمرار الصادق أكثر مما يُبارك في الاندفاع المؤقّت.**

◄ **في شعبان...**

١. لا نبحث عن ارتفاعٍ سريع، بل عن ثباتٍ هادئ،

٢. ولا عن لمعانٍ يُرى، بل عن جذورٍ تُمسِك القلب،

٣. فما يُحفَظ هنا، وما يُراعى في الخفاء، وما يُسأل الله تمامه، سيظهر أثره هناك حين يشاء الله، وكيف يشاء.

◄ ومن حرس نيته في شعبان،

◄ وسأل الله الإخلاص والثبات،

◄ ودخل هذا الشهر بقلبٍ يقظٍ متواضع،

◄ دخل رمضان وقلبه مستقر، وعمله صامت، وأثره صادق، ولو لم يره أحد،

لأن الله تعالى يرى، وهو سبحانه يتولّى من صدق في طلبه، ويُثبّت من لجأ إليه، ويُتمّ على من بدأ به لا بنفسه.

كيف نعرف أن النِّيَّة صمدت؟

ليست النِّيَّة الصامدة تلك التي لا تفتر أبدًا، ولا التي تشعر دائمًا بالخشوع والاندفاع، بل النِّيَّة التي يبقيها الله قائمة حين يغيب الشعور، ويخفت الحافز، ولا يبقى إلا القرار الصادق والاعتماد على الله في الاستمرار.

١. وأولى علامات هذا التثبيت الصَّامت أن يستمرّ العمل في الأيام العادية،
تلك الأيام التي لا روح فيها للموسم، ولا حرارة للبدايات، ولا ضوء خاصّ يلفت الانتباه، لأن ما يُفعل في العادي، وما يُحفَظ في الرتابة، هو أصدق ما يكشف صدق الوجهة، وهو ما يباركه الله إذا صَحَّ القصد.

مثاله ببساطة:

شخصٌ في بداية طريقه مع الله نشط في أول أيام التوبة أو مع دخول شهرٍ فاضل، يكثر من القرآن والذكر والدعاء، لكن بعد أيام تهدأ الحماسة، وتعود الحياة إلى رتابتها؛ دوامٌ طويل، تعبٌ، مشاغل، ولا شيء يوقظه أو يحمّسه.. هنا يظهر التثبيت الصامت: أن يفتح المصحف ولو صفحة واحدة في هذا اليوم العادي، أو يحافظ على ركعتي فجر دون شعور خاص، أو يترك ذنبًا تعوّد عليه رغم غياب الدافع العاطفي.

هذا الفعل البسيط في يومٍ لا يحمل أي روح موسمية ولا حرارة بداية هو الذي يكشف صدق الوجهة، لأن صاحبه لم يعمل بدافع الشعور بل بدافع العهد مع الله، وهذا هو العمل الذي يباركه الله؛ عملٌ لا يراه الناس، ولا تشجّعه الأجواء، لكنه ثابت في الرَّتابة، صادق في القصد.

٢. ومن علاماته أنك لا تحتاج أن تُخبر أحدًا بما تفعل،
ولا تنتظر سؤالًا، ولا يضيق صدرك إن لم يُرَ عملك أو يُذكَر، لأن الطمأنينة هنا لا تأتي من نظر الناس، ولا من سماع الثناء، بل من سلام داخلي يعلم أن الله يرى، وأن القبول عنده سبحانه لا عند غيره.

٣. ومن علاماته أن يقلّ الصراع الداخلي،

لا لأن الطريق صار سهلًا أو بلا مشقّة، بل لأن الوجهة صارت أوضح، فلم تعد تُجادل نفسك كل يوم: أفعل أم أترك؟ بل تفعل بهدوء، ثم تمضي، مستعينًا بالله، لأن القرار قد حُسِم، والنِّيَّة قد استقرّت.

وتظهر هذه العلامة كذلك حين لا تُفسِدك الهفوة، ولا تهدمك العثرة، فتعود بهدوء، بلا ضجيج توبة، ولا إعلان ندم، ولا جلدٍ للنفس، لأن النِّيَّة الصادقة لا تتغذّى على القسوة، بل على الرجوع الهادئ، والاستغفار الصادق، وحسن الظنّ بالله.

٤. ومن علاماته أن العمل لا يُثقِل القلب،

وإن لم يكن مُبهِجًا دائمًا، فالثقل علامة خلل في الوجهة أو في التوقّع، أمّا التعب الطبيعي فهو جزء من الطريق، يصاحبه صبر، ويُحتسَب فيه الأجر، ويُخفَّف بتوفيق الله ولطفه.

٥. ومن أصدق علاماته أيضًا أنك لا تُبدِّل القرار كل أسبوع،

ولا تبحث عن بديلٍ أيسر كلما خفَت الحماسة، بل تحرس ما اخترته، وتصبر عليه، لأنك تعرف لماذا اخترته، ولأنك دخلته طلبًا للإصلاح لا بحثًا عن الراحة.

هذه العلامات...

١. لا تُرى بالعين،

٢. ولا تُقاس بالأرقام،

٣. ولا تُنشَر في المنصّات،

لكنها تُعرَف، ويعرفها القلب جيدًا، ويعلمها الله تعالى قبل ذلك، وهو سبحانه:

← الذي يُثبّت من صدق،

← ويُعين من لجأ إليه،

← ويُتمّ على من بدأ به لا بنفسه.

ومن وجد هذه العلامات في نفسه، وشكر الله عليها، وسأله دوامها، دخل رمضان لا ليُثبت شيئًا، ولا ليصنع صورة، بل ليُثمِر بإذن الله، ولا ليبدأ من جديد، بل ليُكمِل طريقًا قد ثُبِّت في الخفاء، ونُقِيَ من الضجيج، وربّاه الله تعالى على مهل.

كيف نُداوم بلا حرق... ولا اندفاع موسمي؟

لأن أكثر ما يَكسِر القلوب الصادقة ليس التقصير، بل الاستنزاف، كان لا بدّ أن نتعلّم المداومة بوصفها فنًّا يُحسَن ضبطه، لا حماسةً تُطلَق بلا ميزان.

فالاندفاع الموسمي كثيرًا ما يبدأ بنيّة طيبة، لكنه يبدأ بإيقاع خاطئ، نُكثِر فجأة، ونرفع السقف سريعًا، ونحمّل النفس فوق طاقتها، ثم نتفاجأ بالفتور، ونتعامل معه كأنّه خيانة، بينما هو في حقيقته نتيجة طبيعية لسوء تقدير البداية.

المداومة الصحيحة لا تبدأ بالسؤال:

كم أستطيع أن أفعل؟ بل بالسؤال الأصدق والأعمق: ما الذي أستطيع أن أُحافظ عليه حين أكون متعبًا، ومشغولًا، وبلا دافع، وبلا حرارة؟

- فما لا يصمد في الأيام العادية، لن يصمد في المواسم،
- وما يُبنى على الاندفاع، ينهار عند أول توقّف، ولو كان صاحبه صادق النِيَّة.

نُداوم بلا حرق...

١. حين نختار القليل الثابت، لا الكثير المتقلّب،

٢. وحين نقبل التقدّم البطيء ولا نحتقره،

٣. لأن البطء الصادق أقرب إلى الله من سرعةٍ منقطعة، وأحبّ إليه من اندفاعٍ لا يُحسن البقاء.

ونُداوم بلا اندفاع... حين نفصل بين الصدق والإثبات،

١. فلا نحمل العمل عبء الشعور،

٢. ولا نطالبه أن يمنحنا دائمًا نشوةً أو دفعة،

٣. فليس كل عملٍ صادق مُبهِجًا، وبعض الصدق هادئ... وهذا لا يعيبه.

المداومة ليست قسوة على النفس، ولا تساهلًا معها، بل معرفة حدّها، واحترام طاقتها، وحراستها من الإفراط كما نَحرُسها من التفريط، لأن كلا الطرفين يُضيّع الطريق.

ومن علامات المداومة السليمة... أنك إن توقّفت يومًا،

١. لا تنهار،

٢. ولا تُعلن الفشل،

٣. ولا تُسقِط المسار كله،

بل تعود في اليوم التالي بهدوء، كأنَّ شيئًا لم يحدث، لأن هذا هو الثبات الحقيقي.

- **فالمداومة ليست أن لا تتعب، بل أن لا تحترق:** المداومة لا تعني أن تكون قويًّا دائمًا أو نشيطًا بلا فتور، فهذا غير ممكن للبشر، بل تعني أن تُحسن إدارة تعبك حتى لا يُهلكك، فتتقدّم بهدوء، وتُخفّف حين تحتاج، دون أن تنقطع أو تنهار.
- **وليست أن لا تضعف، بل أن لا تترك الطريق:** لا تعني أن لا تضعف أو تتعثّر، فالضعف جزء من الطريق، لكن معناها الحقيقي أن لا تترك الطريق بسبب هذا الضعف؛ أن تتوقّف قليلًا ثم تتابع، أن تُقصّر يومًا ثم تعود، أن تسقط دون أن تستسلم، لأن البقاء في الطريق – ولو ببطء – هو عين

المداومة التي يُحبّها الله.

ومن تعلّم هذا المعنى في شعبان، دخل رمضان بقلبٍ:

١. يعرف إيقاعه،

٢. وبعملٍ يعرف حدّه،

٣. وبنيةٍ لا تُستنزَف... فتُثمِر بإذن الله.

الفرق بين عبادة تُصوِّر... وعبادة تُربّي

العبادتان قد تتشابهان في الشكل، وفي العدد، وفي الوقت، لكن الفارق الحقيقي بينهما لا يظهر فيما يُرى، بل فيما يتكوَّن في الداخل، وفي الإنسان الذي يخرج من العبادة لا في صورتها الخارجية.

فالعبادة التي تُصوِّر تنشغل بالصورة قبل الجوهر، وبالأثر المرئي قبل التحوّل الداخلي، وتبدأ بالسؤال: كيف أبدو؟ قبل أن تتوقّف عند السؤال الأهم: كيف أُصبِح؟

أمّا العبادة التي تُربّي، فتنشغل بالإنسان الذي يتشكّل ببطء، تدخل القلب قبل أن تظهر في الخارج، وتعمل في الداخل بصمت، وتُغيّر ما يجب تغييره، ولو لم يُلاحِظ أحد، ولو لم يُسجَّل أثرها فورًا.

العبادة المُصوَّرة تحتاج شاهدًا، أو على الأقل تحتاج إحساسًا دائمًا بأنها مرئية، فإذا غاب النظر خفّ الحضور، وتراخى الاستمرار، لأن الدافع كان مرتبطًا بالمشاهدة لا بالمعنى.

أمّا العبادة المُربِّية فتعيش في الخفاء، لا لأن الإعلان محرَّم، بل لأن التكوين لا يحتاج جمهورًا، ولأن القلب إذا صَلُح لم يحتج إثباتًا، ولم يطلب شهادة من أحد.

العبادة المُصوَّرة تُسرِع، وتُراكِم، وتقيس نفسها بالكمّ، ثم تتعب، لأنها تحمل عبء العمل وعبء الصورة معًا، فتنهك النفس قبل أن تُصلِحها.

أمّا العبادة المُربّية فتسير ببطءٍ مقصود، تختار القليل الثابت، وتصبر على الأيام العادية، لأنها تعلم أن التربية لا تُستعجَل، وأن ما يثبت ببطء يعيش طويلًا.

العبادة التي تُصوَّر قد تُكثِر العمل ولا تُغيِّر الخُلُق، وقد تُحسِّن الانطباع ولا تُصلِح القلب، وقد تملأ الحسابات وتترك الداخل كما هو.

أمّا العبادة التي تُربّي فتُخفِّف حدّة الغضب، وتُليِّن القسوة، وتُنمِّي الصدق، وتُهذِّب النفس، حتى إن قلّ العمل، لأن أثرها أعمق من عددها.

ليست المشكلة في الصورة ذاتها، ولا في الظهور، بل في أن تتحوّل العبادة:

←من وسيلة تزكية إلى مشروع عرض،

←ومن طريق إصلاح إلى مساحة إثبات.

ومن هنا كان **شعبان** شهر الحراسة، نُراقِب فيه المقصد لا الأداء، ونختار العبادة التي تُربّي ولو لم تُصوَّر، لأن ما يُربِّي اليوم في الخفاء سيُثمِر غدًا في العَّلن... بلا تكلّف، ولا تصنّع، ولا حاجة إلى إعلان.

كيف تُفسد المقارنات نِيَّة السالك دون أن يشعر؟

لأن المقارنة لا تدخل على النِّيَّة كعدوٍّ صريح، ولا تأتي في صورة فسادٍ واضح، بل تتسلّل كفكرة عابرة، وسؤال يبدو بريئًا، ونظرة سريعة إلى غيرنا... ثم تستقرّ في الداخل دون أن نشعر.

في بدايتها لا تُفسد العمل، بل تُشوِّش القصد،

– فنبدأ لله،

- ثم نلتفت،
- ثم نقيس،
- ثم نُعيد تعريف النجاح لا بما نريده عند الله، بل بما نراه عند الناس، فيتحوّل الميزان بهدوء.

المقارنة تُخرج السالك من حضوره مع الله إلى مراقبة المسار، فتتحوّل العبادة من علاقة حيّة إلى ترتيب صامت، ومن تزكية تُعاش إلى سباق داخلي لا يُعلَن، لكن أثره يعمل في القلب.

نقارن الخشوع، فنستصغر ما عندنا أو نغترّ به، ونقارن الإنجاز، فنستعجل فنحترق، أو نتحبّط فننسحب، وفي الحالتين تتآكل النِّيَّة، لا لأن العمل فسد، بل لأن البوصلة اختلّت.

أخطر ما في المقارنة أنها تُبدِّل السؤال الداخلي دون أن ننتبه؛ فبدل أن نسأل: هل هذا يُقرّبني من الله؟ نبدأ نسأل في العمق:

١. هل أنا أقلّ أم أكثر؟
٢. هل أُرى؟
٣. هل أُذكَر؟
٤. هل سبقت أم تأخّرت؟

وهنا لا تنحرف النِّيَّة إلى الرياء الصريح، بل إلى الاعتماد على الميزان الخطأ، فنقيس أنفسنا بالخلق، وننسى أن الصدق يُقاس بالخالق وحده، لا بالترتيب ولا بالعدد ولا بالمشهد.

المقارنة تُربِك الإيقاع،

١. فتدفع بعض الناس إلى الإفراط الذي يستهلكهم،
٢. وبعضهم إلى الانسحاب الذي يُطفئهم،
٣. وقليل من ينجو منها إلا من انتبه وحرس قلبه بوعيٍ مبكّر.

ولهذا كانت المقارنة أخطر في **شعبان ورمضان**، لأن:

- كثرة الأعمال تُكثِر المقاييس،
- وكثرة المشاهد تُضعِف الخصوصية، فتتسلّل المقارنة إلى قلبٍ منشغل بالفعل ولم ينتبه للمقصد.

النجاة ليست في تجاهل الناس، ولا في كره ظهورهم، بل في تثبيت البوصلة،

– أن تعرف أن طريقك ليس نسخة من طريق غيرك،
– وأن الله لم يكلّفك أن تُشبه أحدًا، **بل أن تصدق حيث أنت**.

حين تُغلَق نافذة المقارنة،

١. يهدأ القلب،
٢. وتستقيم النِّيَّة،
٣. ويعود السالك إلى طريقه الحقيقي...

الطريق الذي لا يراه أحد، لأنه بينه وبين الله وحده.

حين تُسرق العبادة... المقارنات في مواسم الطاعة وكيف تُكسَر البوصلة!!

في مواسم الطاعة، ولا سيما في **شعبان ورمضان**، لا يكون الخطر الأكبر في قلة العمل، بل في تحوّل القلب عن وجهته وهو يظنّ أنه يقترب؛ إذ تبدأ المقارنات هادئة ثم تستفحل، فيتحوّل الموسم من ميدان قربٍ إلى ساحة نظرٍ وموازنة، ومن زمن إصلاحٍ إلى معرض خفيّ للأحوال والأرقام والصور.

المقارنة في أصلها لا تُولَد فجّة، بل تأتي بثوبٍ دينيٍّ خادع؛ تبدأ بسؤال بريء: أين أنا من غيري؟ ثم تتحوّل إلى قياسٍ دائم، ثم إلى انشغالٍ مرهق، حتى يصبح القلب حاضرًا في الطاعة غائبًا عن الله، يعمل لكنه يلتفت، ويجتهد لكنه

يراقب، ويتحرّك لكن بوصلته لم تعد تشير إلى الله بل إلى الناس.

وحين ينشغل القلب بالناس في العبادة، يفقد أعظم أسرارها: الإخلاص؛

١. لأن العبادة التي تُقاس بغير ميزان الله لا تُربّي،
٢. والتي تُقارن لا تُزكّي،
٣. والتي تُراقَب لا تُحرّر،

بل تُثقِل النفس وتُفرغ العمل من روحه، فيبقى الشكل قائمًا والمعنى منسحبًا بصمت.

وفي **شعبان** تحديدًا، حيث يُفترض أن يكون زمن التثبيت الهادئ وسقيا الداخل، تأتي المقارنات لتفسد هذا المقصد؛ ترفع السقف بدل أن تُعمّق الجذور، وتُشعل سباقًا بدل أن تُقيم ثباتًا، فتتحوّل الأعمال إلى أرقام، والنيات إلى عروض، والقلب إلى ساحة قلق لا إلى موضع سكينة.

أما في **رمضان**، فتبلغ المقارنة ذروتها؛ مجالس، منصّات، ألسنة، أرقام ختمات، صور قيام، أحاديث إنجاز، فيبدأ المسلم — من حيث لا يشعر —

← بقياس إيمانه بإيمان غيره،

← وجهده بجهد سواه،

فينقلب الميزان؛ من سؤال: هل رضي الله؟ إلى سؤال: كيف أبدو؟ ومن همّ: هل تغيّرت؟ إلى همّ: هل أظهرت؟

وهنا تُكسَر البوصلة؛ لأن القلب الذي كان ينبغي أن يتجه إلى الله في الخفاء، صار يلتفت يمينًا ويسارًا، يراقب غيره أكثر مما يراقب نفسه، ويتابع أحوال الناس أكثر مما يُحاسب قلبه، فإذا به يخرج من **رمضان** وقد أنهكه الجهد، وأثقلته المقارنة، لكنه لم يُزكَّ، ولم يثبت، ولم يُصلَح من الداخل.

ولهذا ترى كثيرين يخرجون من **رمضان** كما دخلوا، أو أشدّ تعبًا، لا لأن رمضان لم يُثمِر، بل لأن القلوب لم تدخل عليه صحيحة الوجهة؛

١. دخلت تطلب الأثر السريع،

٢. أو الشعور العالي،

٣. أو الصورة المقبولة،

فلما غابت المواسم خمدت النار، وسقط العمل، وبقي القلب كما هو، بل ربما أقسى، لأنه ذاق العبادة بلا روح.

- إن المقارنة لا تصنع أولياء، بل تصنع متعبين،
- ولا تُنشئ صدقًا، بل تُربّي وهْم الاكتفاء أو مرارة التقصير،
- ولا تُقوّي السير، بل تُربك الطريق،

لأن كل قلبٍ له طاقته، وكل عبدٍ له باب، وكل وجهةٍ لها زمنها، والله لا يسأل: **لماذا لم تكن مثل غيرك؟** بل يسأل: **هل كنت صادقًا فيما كُلّفت به؟**

لهذا كان النَّجاة في هذه المواسم:

١. أن تُغلق باب المقارنة،

٢. وأن تفتح باب المراقبة الصامتة،

٣. وأن تعمل لله كما لو لم يرك أحد،

٤. وأن تثبت على القليل الذي كُتب لك، لا على الكثير الذي أُعجب به غيرك.

- فالقلب الذي اشتغل بالله تغيّر، وإن قلّ عمله،
- والقلب الذي اشتغل بالناس ضاع، ولو كثر جهده.

ومن لم يتعلّم في **شعبان ورمضان** أن يُعيد البوصلة إلى الله وحده، سيخرج من المواسم محمّلًا بالتعب، فارغًا من الأثر،

لأن العبادة لا تُغيّر صاحبها حين تُؤدَّى، بل حين تُحفَظ وجهتها، وتُصان نيتها، ويُترَك أمرها لله لا للناس.

فيما يلي أمثلة واقعية مباشرة تُجسّد المعاني السابقة:

١. مسلمٌ يبدأ رمضان بنية صادقة، يضع لنفسه وردًا بسيطًا من القرآن، لكن ما إن يسمع عن ختمات غيره الكثيرة حتى يشعر أن عمله لا قيمة له، فيترك القليل الذي كان ثابتًا عليه، فلا يلحق بالكثير ولا يحفظ القليل، فيخرج بخسارة مزدوجة.

٢. امرأةٌ كانت مواظبة على قيام ركعتين في جوف الليل، فلما رأت مقاطع قيام طويلة وبكاءً ظاهرًا، استصغرت عبادتها، فصارت تؤخّر القيام حتى تفوته، لأن المقارنة كسرت رضاها بما كتب الله لها.

٣. شابٌّ ينشغل في المجالس بسؤال: كم ختمت؟ وكم قمت؟ أكثر من سؤاله: هل تغيّر خلقي؟ وهل لان قلبي؟ فيدخل الموسم باندفاع، ويخرج منه بلا أثر سلوكي واحد في معاملته أو لسانه.

٤. شخصٌ يكثر من نشر أعماله في رمضان بحجة التشجيع، حتى تصبح العبادة عنده مرتبطة بالنشر لا بالخشية، فإذا انتهى الموسم وانطفأ التفاعل، خمد العمل لأن الدافع لم يكن الله وحده.

٥. عبدٌ صالحٌ يرى نفسه دائمًا أقلّ من غيره بسبب المقارنات، فيتعب نفسيًا، ويعيش شعور التقصير الدائم، لا لأنه مقصّر حقيقة، بل لأنه قاس نفسه بغير ميزانه، فيتحوّل الاجتهاد إلى ضغط، والطاعة إلى عبء.

٦. آخرُ يرى نفسه أفضل من غيره لأنه أكثر عملًا، فتدخل العُجب إلى قلبه دون أن يشعر، ويغلق باب المراجعة، فيخرج من رمضان وهو يظن أنه ارتقى، بينما قلبه لم يزدد تواضعًا ولا خشية.

٧. كثيرون يخرجون من رمضان وقد تغيّر جدولهم التعبدي فقط، لا أخلاقهم ولا تعاملهم ولا ضبط ألسنتهم، لأنهم ركّزوا على الصورة لا على الإصلاح، وعلى المقارنة لا على التزكية.

٨. شخصٌ كان هدفه في رمضان أن يرضي الله، فلما دخل عالم المقارنات صار هدفه أن "لا يكون أقلّ من غيره"، فتبدّلت البوصلة، وضاع المعنى، وبقي التعب.

٩. عبدٌ أغلق أذنه عن أحوال الناس، وحرس عمله في الخفاء، وثبت على طاعة صغيرة بلا ضجيج، فخرج من رمضان وقد تغيّر قلبه فعلًا، لأن وجهته بقيت نحو الله تعالى لا نحو المقارنة.

هذه الأمثلة تُبيّن:

← **أن الخطر ليس في العمل، بل في ميزانه،**

← **وليس في الكثرة، بل في الوجهة،**

← **وليس في المواسم، بل في القلوب التي تدخلها.**

معنى تربية السِّر قبل طلب الأثر

لأن ما يُربَّى في العلن لا يعيش طويلًا، ولأن ما يُنشَأ على انتظار النتيجة ينهار عند أوّل تأخّر، كانت تربية السِّر هي الأصل الذي لا يُستغنى عنه، والأساس الذي يُقام عليه كل إصلاح صادق، قبل أي تفكير في الأثر أو التغيّر الظاهر.

١. تربية السِّر تعني أن يبدأ الإصلاح في المساحة التي لا يراها أحد، حيث لا تصفيق، ولا مقارنة، ولا ضغط صورة، ولا حاجة لإقناع أحد بشيء، بل علاقة هادئة، صادقة، بين قلبٍ يعرف ضعفه وربٍّ يعلم حاجته.

٢. هي أن تُصلِح نيتك وأنت تعلم أن لا أحد سيكافئك، وأن تُداوم على عمل لا يمنحك شعورًا فوريًا بالإنجاز، ولا يرفع مكانتك في أعين الناس، وأن تختار الصدق وأنت تعلم أن ثمرته قد تتأخّر، وأن أثره قد لا يُرى الآن.

طلب الأثر قبل تربية السِّر يُحوّل العبادة...

١. إلى مشروع نتائج،

٢. ويجعل القلب معلّقًا بالتغيّر الظاهر،

٣. فإن تأخّر التبدّل تسلّل الشَّك، ودخل الإحباط، وصار الطريق ثقيلًا، لا لأن العبادة فاسدة، بل لأن ترتيبها كان مقلوبًا.

أمّا تربية السِّر فتُنشئ قلبًا صبورًا، يعرف:

←أن الأثر ثمرة لا شرط بداية،

←وأن الله يُربّي قبل أن يُظهِر،

←ويُثبّت قبل أن يُثمِر،

←ويُعمّق قبل أن يُعلن.

في تربية السِّر..

١. نُراجع أنفسنا بلا جمهور،

٢. ونُصلِح الخلل قبل أن يتضخّم،

٣. ونتعامل مع الله بوصفه الغاية لا الوسيلة،

٤. وبوصفه المقصود لا الجسر إلى شعورٍ أو نتيجة.

ولهذا كان الخفاء مُربّيًا، لا لأنه أفضل في ذاته، بل لأنه يقطع الطريق على الرياء، وعلى المقارنة، وعلى استعجال النتائج، ويُعيد القلب إلى موضعه الصحيح.

من ربّى سِرَّه لم ينشغل كثيرًا بالأثر، لأنه يعلم:

١. أن الله أعدل من أن يُضيّع،

٢. وأحكم من أن يُعجّل،

٣. وأرحم من أن يُخيّب الصَّادقين.

وحين يأتي الأثر بعد ذلك، يأتي هادئًا، طبيعيًا، غير مُتكلّف، كأنَّه جزء من الطريق نفسه... لا الغاية التي سُلك من أجلها.

شعبان: الاختبار الحقيقي لما كُشف في رجب

لأن الكشف وحده لا يكفي، ولأن ما نراه عن أنفسنا قد يبقى مجرّد معرفةٍ ذهنيّة لا تغيّر مسارًا ولا تُثبّت قدمًا، ما لم يُنزَل إلى الواقع ويُختبَر في الأيام العاديّة، جاء **شعبان**... لا ليضيف جديدًا، ولا ليُدهشنا بخطابٍ آخر، بل ليمتحن بصدق ما كُشِف، ويضع الوعي تحت ضغط الحياة لا تحت ضوء التأمّل.

في **رجب** رأينا التربة، وسمّينا العوائق، واعترفنا بما كان بيننا وبين الله، وسقطت بعض الأوهام التي كانت تحتمي بالعمل، لكن **شعبان** يطرح السؤال الأصعب والأصدق:

١. هل نعيش بما رأينا، أم نكتفي بمعرفته؟
٢. هل تحوّل الكشف إلى التزام، أم بقي وعيًا مريحًا لا كلفة له؟

شعبان لا يطلب قرارات كبيرة، ولا وعودًا عالية السَّقف، ولا خطابات تُشبه البدايات، بل يضعك في الإيقاع المعتاد، في الأيام التي لا حرارة فيها، ولا دهشة موسم، ثم يقول بهدوء:

←أرِني كيف تمشي الآن،

←وأرِني ماذا بقي من صدقك حين هدأ الحماس وسكت الصوت.

هنا يظهر الصدق الحقيقي، لا في الكلام، بل في الثبات، في اختيارٍ صغير يُحافَظ عليه دون إعلان، وفي عادة واحدة تُترك فعلًا لا ندمًا، وفي نية تُحرَس حين لا أحد يراك وحين لا شيء يدفعك سوى ما بينك وبين الله.

في **شعبان** تُختبَر النِّيَّة في الخفاء، ويُختبَر القرار حين يغيب الشعور، ويُختبَر الوعي حين تعود الحياة إلى ضغطها الطبيعي،

←فلا مواسم تُسعف،

←ولا أجواء تُساند، بل مسارٌ يُكمَل أو يُترك.

من ظنّ أن **رجب** غايته سيتعب هنا، لأن المعرفة بلا التزام ثقيلة على النفس، ومن فهم أن **رجب** كان بداية وعي لا نهاية طريق، سيجد في **شعبان** فرصة تثبيت، ولو ببطء، ولو بقليل، لكنه قليل صادق.

شعبان يكشف الفرق بين من صدق في الكشف ومن أحبّ صورة الصدق، بين من أراد التغيير حقًّا ومن أحبّ الإحساس به، بين من قبل كلفة الثبات ومن اكتفى براحة الفهم.

ولهذا كان شعبان هو الاختبار الحقيقي،

←لأن ما لا يصمد فيه لن يصمد في رمضان،

←وما ثبت هنا سيُسلَّم هناك،

←وما حُرِس في الخفاء سيظهر أثره بلا تكلّف.

من خرج من شعبان..

١. وقراره قائم،

٢. ونيته محفوظة،

٣. وإيقاعه مستقر،

٤. دخل رمضان لا ليبدأ من جديد، بل ليُكمِل طريقًا بدأه بصدق، وسار فيه بوعي، وثبّت فيه قلبه قبل أن يطلب الثمرة.

وهكذا يكتمل المعنى في مساره الصحيح:

◄ **رجب كشف،**

◄ **وشعبان اختبار،**

◄ **ورمضان تسليم الثمرة لمن يعلم وحده كيف يُنضجها، ومتى، وبأي مقدار من الرَّحمة.**

خريطة الإصلاح في شهر شعبان

(شهر السقيا الهادئة وحراسة ما كُشِف)

شعبان ليس شهر إضافة، ولا شهر قفزات، ولا موسم إثبات،

١. بل مرحلة دقيقة بين كشفٍ تمّ في رجب،

٢. وتسليمٍ سيأتي في رمضان،

٣. وكل خلل هنا لا يظهر فورًا، لكنه يظهر لاحقًا على هيئة انهيار، أو احتراق، أو فتور مفاجئ في منتصف الطريق.

ولهذا كانت خريطة الإصلاح في شعبان قائمة:

◄ **على التثبيت لا التوسيع،**

◄ **وعلى الحراسة لا الاستعراض،**

◄ **وعلى العمق لا الكثرة.**

أولًا: تثبيت ما كُشِف... لا البحث عن كشف جديد

ما رأيته في رجب يكفي، العوائق التي سمّيتها،

والنِّيَّة التي انكشفت، والتعلّق الذي عرفتَه باسمه،

كل محاولة لفتح ملفات جديدة في شعبان ليست وعيًا، بل تشتيتًا،

وشعبان لا يُربّي من يفتح عشر جبهات، بل من يحرس جبهة واحدة بصدق.

ثانيًا: اختيار قرار واحد فقط للحراسة

ليس أكثر، ولا أجمل، ولا أشدّ لفتًا للنظر،

بل قرار واحد واضح تعرف لماذا اخترته،

وتعرف أي خلل يُعالجه، ويُعقَل أن تحمله معك إلى رمضان دون أن تحترق،

ففي شعبان لا يُطلَب منك أن تُثبت قدرتك، بل أن تُثبت صدقك.

ثالثًا: السُّقيا بالقليل الثابت لا بالكثرة المتقلّبة

عمل صغير، لكن لا يُترك،

خطوة هادئة، لكن لا تُنسى، فالثبات لا يُقاس بالحجم،

بل بالاستمرار...

١. حين يغيب الشعور،

٢. وحين تعود الأيام عادية،

٣. وحين لا أحد يراك ولا يُشجّعك.

رابعًا: حراسة النِّيَّة من ثلاث آفات خطيرة

- من الكلام عن العمل أكثر من فعله،
- ومن المقارنة الخفيّة بالآخرين،
- ومن انتظار الشعور والأثر قبل الاستمرار،

فالنِّيَّة في شعبان تُحفَظ بالصمت، وبالعودة إلى السؤال البسيط كل يوم:

لمن أفعل هذا... ولو لم يرني أحد؟

خامسًا: إغلاق نوافذ الاستنزاف لا فتح أبواب جديدة

شعبان شهر تقليل الضجيج،

١. تقليل المتابعة،
٢. تقليل المقارنات،
٣. تقليل التوقّعات العالية،

لأن القلب الذي يُستنزَف لا يُثمِر، ولو كان صادقًا في بدايته.

سادسًا: التدرّب على المداومة بلا حرق

أن تتعلّم...

١. كيف تعود بعد يوم فاتر،
٢. وكيف لا تُجلِد نفسك،
٣. وكيف لا تهدم المسار بسبب عثرة،
٤. وكيف تحترم طاقة القلب كما تحترم صدقه،

فشعبان يُعلّمك أن الثبات أهم من الاندفاع،
وأن الطريق يُكمَل بالهدوء لا بالقسوة.

سابعًا: تربية السِّر قبل طلب الأثر

١. أن تعمل في المساحة التي لا يراها أحد،
٢. وأن تُصلِح دون جمهور،
٣. وأن تُكمِل دون تصفيق،
٤. وأن تتعامل مع الله غايةً لا وسيلة،

فمن ربّى سرَّه في شعبان، لم يتعلّق بالأثر في رمضان،
بل سلَّمه لله مطمئنًا.

ثامنًا: قبول بطء التغيير دون الانسحاب

١. شعبان لا يُعطيك نتائج سريعة،
٢. ولا شعورًا دائمًا،
٣. ولا نشوة موسم،

بل يعطيك أثمن من ذلك:

١. قرارًا ثابتًا،
٢. ونية محفوظة،
٣. وإيقاعًا صحيًا للدخول إلى رمضان دون انهيار.

خلاصة خريطة شعبان

١. ما يُطلَب في شعبان ليس أن تفعل أكثر، بل أن تحرس ما بدأت،
٢. وأن تُكمِل بلا ضجيج،
٣. وأن تُربّي القرار في الخفاء،
٤. حتى إذا جاء رمضان، لم تدخل لتبدأ،
٥. بل لتُسلِّم ثمرة نضجت على مهل.

شعبان ليس شهر الظهور،
بل شهر الحفظ، ومن لم يحفظ هنا، لن يثبت هناك.

التدريب العملي: تثبيت عبادة واحدة فقط (خاص بشهر شعبان)

هـذا التمـرين لا يُقصـد بـه الإكثـار، ولا التنويـع، ولا مراكمـة الأعمـال، ولا مطاردة الأرقام، بل يُراد به تعلّم الثبات، وبناء القدرة على الاستمرار، وتربية القلب على الوفاء بما عاهد الله عليه، لأن الله تعالى لا ينظر إلى كثرة العمل

وحدها، بل إلى صدقه وثباته وحُسن القصد فيه.

القاعدة الأولى:

اختر عبادة واحدة فقط، صغيرة كانت أو كبيرة، واضحة المعالم، تعرف متى تبدأ ومتى تنتهي، ويمكنك الالتزام بها دون اضطراب أو تكلّف، ولا تُضِف إليها غيرها في هذا التدريب، لأن القليل الذي يُحرَس ويُداوَم عليه خيرٌ من الكثير الذي يُترك أو يتقطّع، ولأن النفس إذا حُمِّلت فوق طاقتها انقطعت، وإذا سارت على قدرها ثبتت.

القاعدة الثانية:

تُؤدَّى هذه العبادة بنيّة واعية حاضرة، لا على أنها عادة مفرغة من المعنى، ولا على أنها إنجاز يُلتفت إليه، بل على أنها باب تربيةٍ وسيرٍ إلى الله، تقصد بها وجهه، وتطلب بها رضاه، وتُصلح بها قلبك، دون التفاتٍ إلى نفسك أو صورتك أو تقييمك لذاتك.

القاعدة الثالثة:

يكون التركيز في هذه العبادة على ثلاثة معانٍ أساسية لا غير:

١. **الحضور**، ولو كان يسيرًا، أن يكون القلب حاضرًا بقدر ما يستطيع دون تكلّف ولا تصنّع؛
٢. **والاستمرار**، أن لا تُقطَع هذه العبادة بلا عذر، وأن يُحافَظ عليها في الأيام العادية قبل غيرها؛
٣. **والصدق**، أن تُؤدَّى لله وحده، ولو لم تُثمر شعورًا ظاهرًا، ولو لم تُحدِث أثرًا فوريًا، لأن الله تعالى يُربّي بالثبات قبل أن يُكرم بالأثر.

لا تبحث عن نتيجة سريعة، ولا تُراقب إحساسك مراقبةً مرهِقة، ولا تقِس نفسك بغيرك، ولا تجعل العبادة ميزان مقارنة، فالمقصود هنا ليس الارتفاع المفاجئ، ولا الشعور العالي، بل تثبيت الجذور في القلب، حتى إذا جاء رمضان

وجد أساسًا قائمًا لا حماسةً طارئة.

التعامل مع الفتور:

إن فات يومٍ، أو ضعفت الهمة، فلا تُضخِّم الأمر، ولا تُعلن الفشل، ولا تغيّر العبادة، ولا تُعاقب نفسك بالقسوة، بل عُد بهدوء، واستأنف الطريق بسكينة، لأن الثبات لا يُبنى على العنف مع النفس، بل على الصبر، والرِّفق، وحُسن الظَّنِّ بالله تعالى.

الهدف التربوي:

١. نقل القارئ من وهم الكثرة إلى حقيقة الثبات،
٢. ومن العبادة التي تُرى وتُحصى إلى العبادة التي تُربّي وتُصلح،
٣. ومن السَّعي وراء الصورة والانطباع إلى ترسيخ الجذور في القلب،

١. حتى يدخل رمضان وقراره قائم،
٢. وعمله مستقر،
٣. وقلبه قد تعلّم كيف يسير،
٤. وكيف يكمّل،
٥. وكيف يثبت على ما يُرضي الله.

دعاء ختامي:

يُقال بلا ضجيج... ويُسلِّم القلب لما بعده

اللهم إنّا لا نسألك في هذا الشهر كثرة عمل، ولا رفعة ذِكر، ولا أثرًا يُرى بين الناس، بل نسألك أن تحفظ ما أصلحتَه في قلوبنا من الضياع، وأن تُثبّت ما أيقظتَه فينا من وعي، وأن لا تتركنا إلى أنفسنا بعد أن عرّفتنا بطريقك.

اللهم إنّا رأينا في رجب ما كان بيننا وبينك، ورأينا مواضع الخلل والبُعد، وحاولنا في شعبان أن نحرس ما رأينا وأن نصونه بالصَّبر، فلا تردّنا بعد الوعي إلى

الغفلة، ولا بعد الصدق إلى التزيين، ولا بعد القرار إلى التردّد، ولا بعد القرب إلى الفتور.

اللهم احفظ نيَّاتنا من التآكل الخفي، وأعمالنا من الرِّياء الدقيق، وقلوبنا من المقارنة التي تُفسد القصد، ولا تجعلنا ممّن يعمل كثيرًا ثم يضيع لأن قلبه لم يثبت، أو لأن وجهته لم تكن خالصة لك.

اللهم علّمنا المداومة التي لا تُحرِق، والثبات الذي لا يُقسي، والطاعة التي تُربّي القلوب قبل أن تُكثِر الأعمال، ولو كانت خفيّة لا يراها إلا أنت.

اللهم إن كان في عبادتنا خلل فأصلحه بفضلك، وإن كان في نيَّاتنا ضعف فقوِّه بلطفك، وإن كان في طريقنا بُطءٌ فبارك فيه، واجعل القليل الصادق أحبَّ إليك من الكثير المنقطع.

اللهم سلِّمنا إلى رمضان وقد خفّت قلوبنا من الأثقال، واتّضحت نيَّاتنا من الالتباس، وصَدقت عبادتنا بلا تكلّف، لا نطلب فيه إثباتًا لأنفسنا، ولا صورةً للناس، بل نطلب منك القبول وحدك.

اللهم اجعل ما سُقِي في الخفاء ثابتًا، وما حُرِس في السِّرّ محفوظًا، وما أُريد به وجهك مثمرًا في الوقت الذي تختاره أنت، وبالصورة التي ترضاها أنت.آمين.

خاتمة باب شهر شعبان

(حين يُحرَس ما كُشِف... ويُثبَّت ما اختير)

- لم يكن شعبان شهر إضافةٍ في الأعمال،
- ولا ساحة استعراضٍ للطاعات،
- ولا موسمَ إثباتٍ للذات،

بل كان امتحانًا صامتًا لما كُشِف في رجب، وسؤالًا عمليًا لا يُجاب بالكلام

ولا بالشعور، بل بالعيش الصادق: **هل نُقيم بما عرفنا، أم نكتفي بمعرفته ثم نمضي؟**

في هذا الباب تبيّن لنا أن أخطر ما يُهدِّد القرار ليس السقوط المفاجئ الذي يُوقظ، بل التآكل البطيء الذي لا يُرى؛

١. حين تُترك النيّة بلا حراسة،
٢. ويُسقى العمل بالضَّجيج لا بالصدق،
٣. ويُستبدل الثبات بالانشغال،
٤. والاستقامة بالتبرير.

- وتعلّمنا أن السُّقيا الحقيقية خفيّة،
- وأن ما يُربَّى في السر هو وحده القادر على الثبات في العلن،
- وأن القرار الواحد المحروس بالصبر والصدق أصدق وأبقى من عشرات البدايات المتفرّقة التي لا يُمسكها نظام ولا يحفظها قصد.

وتبيّن لنا...

١. أن الاستعراض قد يُفسد ما لا يُفسده التقصير،
٢. وأن المقارنة تُبدِّل الوجهة دون أن تُسقِط الشكل،
٣. وأن المداومة ليست ضغطًا على النفس ولا إنهاكًا للقلب،
٤. بل معرفة الإيقاع الذي لا يحرق ولا يُفرِّط، ولا يُطفئ جذوة الطريق.

في **شعبان** لم نُطالَب أن نشعر كثيرًا، ولا أن نُكثِر، ولا أن نُحدِث أثرًا يُرى أو يُروى، بل طُلب منا أمرٌ أدقّ وأثقل:

- أن نحرس النيّة،
- ونُثبّت القرار،
- ونمشي في الأيام العادية كما نمشي في الأيام الخاصة، بنفس الصِّدق ونفس العهد.

ومن خرج من شعبان وعبادته:

١. صامتة لا تُلفت،

٢. وقراره قائم لا متردّد،

٣. ونيته محفوظة من التآكل،

فقد بلغ الغاية من هذا الشهر، ولو لم يشعر بشيء، **لأن الثمار العميقة لا تُحدِث ضجيجًا عند تكوّنها.**

هذه الخاتمة لا تعني أن الطريق انتهى، بل تعني:

- أنَّ الاتجاه قد استقام،
- وأنَّ ما سيأتي بعده ليس بداية جديدة تُعلَّق عليها الآمال،

بل تسليمًا هادئًا لما ثُبِّت، وثقةً بأن ما أُحسن حراسته لن يضيع.

وهكذا يُغلَق **باب شعبان** كما ينبغي:

- لا بضجيج الإنجاز،
- ولا بكثرة الادّعاء،

بل بسكينة الثبات، وطمأنينة من عرف أن ما سُقِي في الخفاء لا يضيع عند الله، **وأنَّ من أحسن الحراسة هنا أُكرم بالثَّمر هناك... في الوقت الذي يريده الله سبحانه وتعالى، وبالصورة التي يختارها هو.**

الباب الثالث: شهر رمضان: حين نُسلِّم الثمرة... لا نبدأ الزرع

◄ ليس رمضان بداية الطريق،
◄ ولا لحظة إثباتٍ متأخرة،
◄ ولا ساحة سباقٍ أخيرة تُدارك فيها القلوب ما فاتها،

بل هو لحظة تسليمٍ هادئة:

لما زُرِع بصدق، وسُقِي بثبات، وحُرِس بنيّةٍ واعية في الخفاء.

◄ من دخل **رمضان** ليبدأ من الصفر دخل مُثقَلًا،
◄ ومن دخله ليُسلِّم ما بيده دخل مُطمئنًا؛

١. لأن الثمرة لا تُصنَع في أيام الحصاد، بل تُقطَف،
٢. ولا تُستعجَل ساعة نضجها، بل تُؤتَى حين يكتمل أوانها.

←**رمضان** لا يُنشِئ القلوب من جديد، بل يكشف ما صَلُح فيها،
←ولا يُغيّر الاتجاه، بل يُظهِر صدقه؛

فما لم يُزرَع في رجب، ولم يُثبَّت في شعبان، لن يولد فجأة في رمضان مهما ارتفعت الهمم أو اشتدّت الأجواء.

- في هذا الشهر لا نُطالَب أن نُكثِر بقدر ما نُطالَب أن نَصدُق،
- ولا أن نرفع السَّقف ونحمّل القلوب ما لا تحتمل، بل أن نُنزِل الحمل،
- ولا أن نُثبِت قدرتنا، بل أن نُسلِّم قلوبنا لمن يعلم كيف يُنضِج الثمار، ومتى يُظهرها، وبأي قدرٍ يُباركها.

الفكرة المحورية هنا حاسمة:

رمضان ليس شهر الزرع، بل شهر التسليم؛

١. تسليم النِّيّة بعد أن صُحِّحت،

٢. وتسليم الجهد بعد أن بُذِل،

٣. وتسليم الأثر لله تعالى بعد أن أُخلِص فيه، دون تعلّقٍ بالنتائج أو مطالبةٍ بالعاجل.

رمضان ليس امتحانًا جديدًا يُعاد فيه كل شيء، بل نتيجة مسارٍ سابق؛

١. فمن جاءه مُثقَلًا بالاستعراض كُشِف،

٢. ومن جاءه ثابتًا بالصدق أُكرِم،

لأنَّ الشهر يُظهِر حقيقة السَّير ولا يصنعها من عدم.

وهكذا يُفهَم رمضان كما ينبغي:

لا كموسمٍ يُنقِذ كل شيء دفعة واحدة، بل كموسمٍ يُثمِر ما صَدَق، فإذا سلّم العبد الثمرة ولم يتعلّق بها، وتخلّى عن توجيهها والتحكّم في مآلها، تولّى الله تمامها... على الوجه الذي يُرضيه، وفي الوقت الذي يختاره، وبالبركة التي يشاء.

حين ندخل الموسم... هل نطلب الإصلاح أم الإبهار؟

قد ندخل مواسم الطاعة بنوايا حسنة، لكن بطلبٍ مُلتبس؛

١. نريد أن نتغيّر ونُصلَح من الداخل،

٢. ونريد في الوقت نفسه أن نُبهِر ونُرى ونشعر بأن شيئًا كبيرًا قد حدث،

فنحمل في قلوبنا مقصدين متزاحمين لا يجتمعان طويلًا على طريقٍ واحد.

الإصلاح بطبيعته بطيء، صامت، متدرّج، لا يَعِدُ بشعورٍ دائم، ولا يُقدّم نتائج فورية، بل يعمل في العمق حيث لا ضجيج ولا تصفيق..

أمّا **الإبهار** فخاطف سريع، يُغري بالاندفاع، ويمنح إحساسًا عاجلًا بالإنجاز، لكنه غالبًا ما يستهلك القلب أكثر مما يُرمّمه.

وحين نطلب الإبهار..

١. نرفع السَّقف،
٢. ونكثّف الأداء،
٣. ونُراكم الأعمال والصور،
٤. ونقيس أنفسنا بالظَّاهر لا بالصدق،

ثم نُنْهَك، وحين يتأخر الأثر أو يخبو الشعور نشكّ في الطريق، لا لأن الطريق خطأ، بل لأن الطلب كان في غير موضعه.

أمّا حين نطلب الإصلاح:

١. فإننا نُخفّف الضَّجيج،
٢. ونحرس القليل،
٣. ونقبل التدرّج،
٤. ونعطي القلب وقته،

فنمضي بطمأنينة، حتى وإن لم نشعر بشيءٍ لافت، لأننا نثق أن ما يُزرَع بصدق لا يضيع، وإن تأخّر ظهوره.

الإصلاح يسأل: ما الذي يحتاج أن يُشفَى في قلبي؟ وما الخلل الذي يجب أن يُعالَج؟..

أمّا الإبهار فيسأل: ما الذي سيظهر من عملي؟ وكيف سيُرى؟

الإصلاح يطلب من الطاعة أن تُربّي وتُزكّي وتُثبّت،

بينما **الإبهار** يطلب منها أن تُدهِش وتُلفت وتُشعِر بالعلوّ السريع.

وفي رمضان يتضاعف هذا الامتحان؛

١. لأن الجوّ العام مُبهِر،
٢. والقصص كثيرة،
٣. والمقاييس مرتفعة،

فتتنقّل النِّيّة بسهولة من طلب القبول عند الله إلى طلب اللَّمعان بين الناس،

أو حتى بين المرء ونفسه، دون أن يشعر بانحراف الوجهة.

والفرق بين الطريقين أن **الإبهار** غالبًا ينتهي بانتهاء الشعور وانطفاء الأجواء، أمّا **الإصلاح** فيبقى أثره بعد انقضاء الموسم، في السلوك، والاختيارات، وطريقة الثبات حين تغيب الحماسة.

ولهذا يكون السؤال الحاسم عند دخول رمضان:

←هل أريده ليُصلِحني ولو ببطء،

←ويُربّي قلبي ولو بصمت،

←أم أريده ليُبهِرني ولو مؤقّتًا؟

- فمن دخل طالبًا **الإصلاح** خرج بقلبٍ أصدق ولو قلّ عمله،
- ومن دخل طالبًا **الإبهار** خرج مُتعبًا ولو كثر عمله.

وهنا يُفهَم معنى التسليم حقًّا:

١. أن نترك للإصلاح وقته...

٢. ولله تعالى ثمرته...

٣. وألّا نُثقِل الشهر بطلبٍ لم يُخلَق له،

٤. فالله تعالى يُتمّ ما صَدَق، لا ما أُعجِب به صاحبه.

لماذا لا يُصلِح رمضان من دخل يطلب الإبهار؟

- **لأنَّ الإبهار يطلب الصورة،**
- **والإصلاح يطلب الحقيقة،**

وهذان المقصدان لا يجتمعان طويلًا في قلبٍ واحد، فإذا غلب أحدهما أزاح الآخر ولو بهدوء.

من دخل **رمضان** يطلب **الإبهار** دخل:

١. مشغولًا بالنتيجة قبل المسار،

٢. وبالأثر قبل التزكية،

٣. وبما سيظهر للعَيان قبل ما سيتغيّر في الداخل،

٤. فحمّل الشهر ما لم يُجعل له،

٥. وانتظر منه ما لا يُعطى إلا بعد الصَّبر.

الإبهار يحتاج:

← شعورًا دائمًا،

← وتجددًا مستمرًا،

← وتصاعدًا لا يعرف التوقّف،

وحين تهدأ المشاعر – وهو أمر طبيعي في طريق العبادة – يظنّ صاحبه أن الطريق فشل، فينسحب، أو يُبدِّل، أو يجلد نفسه بلا طائل، لا لأنه سيّئ القصد، بل لأن طلبه كان أكبر من طاقة الطريق.

أمّا الإصلاح:

١. فيقبل الهدوء،

٢. ويحتمل البُطء،

٣. ويصبر على الأيام العادية،

٤. لأنه لا يطلب دهشة ولا لفت نظر،

٥. بل يطلب شفاءً عميقًا لا يُقاس بالشعور،

٦. ولا يُعرف أثره إلَّا بعد حين.

ومن دخل يطلب **الإبهار** ربط عبادته بالجوّ العام، فإذا تغيّر الجوّ اختلّ حضوره، وإذا خفّ الضّوء خفّ العمل، فصار تابعًا للمشهد لا ثابتًا على الطريق، أسيرًا للأجواء لا وفيًّا للوجهة.

ولهذا لا يُصلِح **رمضان** من دخل يطلب **الإبهار**، لا لأن **رمضان** عاجز، ولا

لأن الرَّحمة قصرت، بل لأن القلب لم يُسلِّم؛ لم يُسلِّم النيّة، ولا التوقّعات، ولا رغبته الخفيّة في التحكّم بالأثر وتوقيت الثمرة.

- **رمضان** يُصلِح من جاءه مستعدًّا لأن يُكشَف لا ليُدهِش،
- مستعدًّا لأن يُربَّى لا ليُصفَّق له،
- مستعدًّا لأن يترك لله شكل الثمرة وزمنها، دون استعجال ولا اشتراط.
  - ومن هنا نفهم أن **الإبهار** يُرهِق ولا يُقيم،
  - وأن **الإصلاح** يُثبِّت وإن لم يُظهِر،

وأن أعظم ما يُفشل **رمضان** ليس الذنب وحده، ولا التقصير الظاهر، بل الطلب الخطأ الذي يُحمِّل العبادة ما لم تُجعل له.

فمن دخل **رمضان** يطلب أن يُصلِحه الله كما يُصلِح الطبيب الجرح — مع الفراق في القياس والتشبيه – خرج **أخفّ**، **وأصدق**، **وأقرب**، **ولو لم يُبهِر أحدًا**، أمّا من دخله يطلب أن يُبهِر، **فقد يخرج متعبًا... ولو أبهَرَ الجميع**.

علامة الدخول الصحيح لرمضان: أن تطلب القبول لا الشعور

- لأنَّ **الشعور** متقلّب بطبعه، يعلو ويهبط، يحضر ويغيب،
- بينما **القبول** ثابت لا يتغيّر بتغيّر الإحساس،

كان طلب **القبول** هو العلامة الصادقة للدخول الصحيح إلى رمضان، لا حرارة البداية، ولا نشوة الأيام الأولى، ولا الدفعة الشعورية التي لا تلبث أن تخفت.

من دخل رمضان يطلب الشعور تعلّق بما لا يدوم، فإذا خفّ الخشوع اضطرب، وإذا فتر القلب ظنّ أن الطريق أُغلِق، مع أن الطريق في حقيقته كان يبدأ في سكونه، ويُختبَر في هدوئه لا في ضجيجه.

أمّا من دخل رمضان يطلب القبول فقد سلَّم الأمر من البداية، فلم يربط صدقه بما يشعر، ولا استمراره بما يجد، بل بما يعلم ويوقن: أن الله يقبل الصادق ولو لم يشعر، ويثيب الثابت ولو لم يجد لذّة، ويبارك العمل وإن خلا من الأثر الظاهر.

طلب القبول يُغيّر السؤال الداخلي تغيّرًا جذريًا؛ فبدل أن يسأل القلب بقلق: هل أشعر؟ يبدأ يسأل بصدق: هل أنا صادق؟ هل أؤدّي ما أستطيع؟ هل أعود إذا فترت؟ وهذه الأسئلة لا تُنهِك، بل تُنقِذ، لأنها تُعيد العبد إلى موضعه الصحيح.

الشعور هدية، قد تأتي وقد تتأخر، وقد تُعطى وقد تُحجَب لحكمةٍ يعلمها الله، أمّا **القبول** فمرتبط بالنِّيّة الصادقة، وبالثبات، وبالوفاء بالعهد، لا بما يمرّ على القلب من حالات.

ومن طلب القبول...

١. لم يحتقر العمل الهادئ،

٢. ولم ينسحب في الأيام العادية،

٣. ولم يُبدّل الطريق لأن الأثر لم يظهر،

٤. لأنه لم يجعل الشعور شرط السَّير، ولا مقياس الصدق.

ولهذا ترى من طلب القبول أهدأ في رمضان،

- أثبت في مسيره،
- أقلّ قلقًا على نفسه،
- لا يُكثر الحديث عن حاله،
- ولا يراقب قلبه في المرآة كل يوم،
- بل يمشي... ويُسلِّم، ويثق أن الله تعالى يرى ما لا يراه هو.

رمضان لا يُعطي كل أحد شعورًا، لكنه لا يَحرِم صادقًا من قبول، ومن فهم

هذا دخل الشهر مطمئنًا، وخرج أقرب، ولو لم يشعر بشيءٍ يُذكَر، لأن القرب الحقيقي لا يُقاس بالإحساس، بل بالصِّدق.

وهنا تُفهم العلامة حقًّا: أن تدخل رمضان وقلبك يقول بهدوءٍ وتسليم: يا رب تقبّل، لا أن تقول بلهفةٍ واستعجال: يا رب أشعر.

الفرق بين من يدخل ليُصلِح... ومن يدخل ليُبهِر

الفرق لا يبدأ من العمل، ولا من البرنامج، ولا من كثرة الطاعات، بل يبدأ من السؤال الذي يحمله القلب وهو يدخل؛ سؤالٍ صامت يسبق كل خطوة ويُوجّه كل جهد.

من يدخل ليُصلِح يدخل وهو يعلم أن في داخله خللًا يحتاج شفاءً لا عرضًا، وأن الطاعة وُضعت لتُربّي لا لتُعرَض، فيقبل أن يُكشَف له عن ضعفه، وأن يُبطَّأ حين يلزم، وأن يُعاد تشكيله على مهل، لأن غايته ليست الصورة بل الحقيقة.

أمّا من يدخل ليُبهِر فيدخل وهو مشغول بالصورة ولو لم يعترف، يريد أثرًا سريعًا، وتحولًا يُرى، وشعورًا يُثبِت له – ولغيره – أنه "**نجح**"، فيجعل من العبادة مرآةً لا مشرطًا، ومن الموسم مسرحًا لا عيادة.

الذي يدخل ليُصلِح يحتمل الأيام العادية، ولا ينهار إذا خفّ الخشوع، ولا يترك الطريق إذا فتر القلب، لأنه لم يجعل الشعور شرطًا للسَّير، بل جعل الصدق ميزانه، والثبات عهده.

والذي يدخل ليُبهِر يتقلّب مع الإحساس، يشتدّ إذا اشتدّ الجوّ، ويفتر إذا هدأ، فإن تأخّر الأثر ظنّ أن **رمضان** خذله، بينما الذي خذله في الحقيقة هو **طلبه وما علّق به قلبه.**

من يدخل ليُصلِح لا يُكثر النظر إلى نفسه، ولا يقيس خطاه بغيره، ولا يستعجل الثمرة، لأنه يعلم أن الإصلاح الحقيقي يحدث في العمق حيث لا ضوء ولا تصفيق، لا على السطح حيث الضجيج والسرعة.

أمّا من يدخل ليُبهِر فيراقب نفسه كثيرًا، ويقارن، ويُعدّ، ويقلق، فيحمل:

١. مع العبادة عبءَ الصورة،
٢. ومع الجهد عبءَ التوقّع،
٣. فيتعب قلبه قبل أن يثبت عمله.

الفرق الجوهري..

←أن **الإصلاح** يُنتِج إنسانًا أهدأ، أصدق، أقرب إلى الله، ولو قلّ الكلام عنه،

←بينما **الإبهار** قد يُنتِج قصة جميلة تُروى، لكن بقلبٍ مُرهقٍ لا يستقر.

◄ **ولهذا ترى من دخل ليُصلِح** يخرج من رمضان أخفّ، ولو لم يُحدِث ضجيجًا...

◄ **وترى من دخل ليُبهِر** قد يخرج مُثقَلًا... ولو أبهَرَ الجميع.

وهنا تُحسَم المسألة كما ينبغي: رمضان لا يُكافئ من أراد أن يُرى، بل من رضي أن يُربَّى.

نيَّة الدخول: عبودية لا إنجاز

لأنَّ أخطر ما نحمله إلى رمضان ليس ضعف الهمّة، ولا قلّة الزاد، بل **عقل الإنجاز** الذي يتسلّل إلى العبادة فيُفرغها من معناها، كان لا بدّ أن تُصحَّح نيّة الدخول من الأساس، قبل أن يُعاد ترتيب البرنامج أو تُرفع الأهداف.

◄ **نيّة العبودية تقول بهدوء:**

١. أنا أدخل لأنني محتاج لا لأنني قادر،

٢. وأقف بين يدي الله تعالى لأنني عبد لا لأنني منجِز،

٣. وأعمل لأن الله أمر لا لأنني أريد أن أُحصي أو أُثبت،

فأكون في العبادة متعلّقًا بالأمر لا بالنتيجة.

◄ **أمّا نيّة الإنجاز** فتبُدّل الميزان من حيث لا يشعر صاحبها؛

١. تجعل العبادة مشروع أداء،

٢. والطاعة سلّم تقييم،

٣. واليوم الناجح هو اليوم المثقل بالأرقام،

٤. لا اليوم الصادق في القصد،

٥. فيُقاس السَّير بما يُرى لا بما يُصلَح.

◄ **من دخل بنية العبودية** لم يُفاجَأ بضعفه، ولم يغضب من فتوره، ولم يُصَدَم إذا خفّ الشعور، لأنه لم يعد نفسه بالقوّة، بل دخل معترفًا بالافتقار، منتظرًا العون من الله لا مُطالبًا بالنتائج.

◄ **ومن دخل بنية الإنجاز** حمّل نفسه فوق طاقتها، ثم استغرب حين تعبت، وراقب أداؤه أكثر مما راقب قلبه، فصار يُحاسب قبل أن يُسلِّم، ويُطالب قبل أن يرضى.

◄ **نيّة العبودية تُهدّئ القلب، لأنها تُسقِط شرط السيطرة، وتقول له:**

١. افعل ما تستطيع،

٢. وعُد إن قصّرت،

٣. وسلِّم ما لا تملك،

٤. فأنت مأمور بالسَّعي لا ضَامن للثمرة.

◄ **أمّا نيّة الإنجاز فتُقلِق،**

١. لأنها لا تقبل النقص،

٢. ولا تحتمل البطء،

٣. ولا تعرف كيف تمشي بلا نتيجة فورية،

٤. فتجعل الطريق عبئًا بدل أن تجعله قُربة.

رمضان لا يُعاش بعقلية الإنجاز، لأن الله تعالى لا يُعامِلنا كمشاريع تُقاس،

← بل كعبيد يُربّيهم،

← ويجبُرهم،

← ويقبل منهم على قدر صدقهم وثباتهم،

← لا على قدر ما أظهروه أو جمعوه.

وحين تصحّ نيّة الدخول، وتعود **عبوديّة** لا **إنجازًا**، يتغيّر كل شيء؛

١. العمل يصير أخفّ،

٢. والثبات أيسر،

٣. والقبول أقرب... ولو لم نشعر بشيءٍ يُلفت.

وهكذا ندخل رمضان كما ينبغي:

- **لا لنجمع ما استطعنا، بل لنسلِّم ما استطعنا،**
- **ونترك لله ما لا نملك،**
- **مطمئنّين أن العبودية الصادقة لا تضيع عنده أبدًا.**

كيف لا نُحمِّل رمضان ما لا يحتمل؟

حين نُحمِّل رمضان ما لا يحتمل نظلمه، ونظلم أنفسنا معه؛

١. نطالبه أن يُصلِح في ثلاثين يومًا ما أفسدناه في أعوام،

٢. وأن يُغيّرنا دفعة واحدة،

٣. وأن يمنحنا شعورًا دائمًا بالسُّموّ والاندفاع،

٤. فنضعه في موضعٍ لم يُجعل له،

٥. وننتظر منه ما لا يُعطيه إلا الصَّبر الطويل.

رمضان...

- ليس مسؤولًا عن كل تقصيرٍ سابق،
- ولا عن كل عادةٍ مزمنة،
- ولا عن كل خللٍ أُجِّل ثم أُلقي عليه دفعة واحدة،

بل هو شهر عونٍ ورحمةٍ وتثبيتٍ لمن دخل مستعدًّا للتسليم، لا طالبًا لمعجزة تُغني عن مسارٍ كامل.

نُحمِّل رمضان ما لا يحتمل حين ندخله بعقلية التعويض،

١. نريد أن نستردّ في أيام معدودة ما أضعناه في سنين،
٢. فنُرهِق الجسد،
٣. ونضغط القلب،
٤. ونرفع السقف،
٥. ثم ننهار ونخرج مثقلين باللَّوم بدل أن نخرج متخفّفين بالصدق.

ونُحمِّله ما لا يحتمل حين نربط قيمته بما نشعر؛

١. فإن حضر الخشوع قلنا: نجحنا،
٢. وإن غاب قلنا: خسرنا،
٣. بينما رمضان أعمق من مزاجٍ متقلّب،
٤. وأصدق من قياسٍ شعوريٍّ سريع،
٥. لأنه يعمل في العمق حيث لا تُقاس النتائج بالإحساس.

ونُحمِّله ما لا يحتمل حين نطالبه بالإبهار، وننسى أنه شهر تربية،

١. وأن التربية لا تصرخ،
٢. ولا تُنجَز بعجلة،
٣. ولا تُقاس بالقصص،

٤. بل تُبنى بصبرٍ وتسليمٍ ومداومةٍ هادئة.

- الطريق إلى ألّا نُحمِّل رمضان ما لا يحتمل أن ندخله بصدقٍ لا بسقف،
- وبنيّة عبوديةٍ لا ببرنامج إنجاز،
- وبقلبٍ مستعدٍّ أن يُربَّى لا أن يُدهِش،
- وأن نُسلِّم له ما وُضع له أصلًا:

١. **الإصلاح المتدرّج لا القفزات،**

٢. **والثبات لا الضجيج.**

- **رمضان** يُعطي على قدر ما نُسلِّم لا على قدر ما نضغط،
- ويُصلِح على مهل لا على عجل،
- ويُثمِر حين نترك له شكل الثمرة وزمانها، لأن الله يُنضِج ولا يُستعجَل.

من دخل **رمضان** وهو يعلم أن هذا الشَّهر ليس **طبيب طوارئ لكل علّة،** بل موسم رحمةٍ لمن صدق في الطلب، خرج **أخفّ، وأهدأ، وأقرب**... **ولو لم يحمل قصةً تُروى ولا أثرًا يُبهِر.**

وهكذا لا نُحمِّل رمضان ما لا يحتمل، بل نأخذ منه ما خُلِق له: السَّكينة، والقُرب، وبركة التسليم.

وربَّ سائلٍ يسأل: هل كونُ رمضان قد أنقذ كثيرين في لحظات الانكسار يجعله طبيبَ طوارئٍ يعمل تلقائيًا لكلِّ حال، أم موسمَ رحمةٍ يثمر بقدر الصدق والرجوع؟

الجواب:

رمضان قد يكون – لبعض القلوب – طوق نجاةٍ في لحظة انهيار، وأنا لا أُنكر هذا أبدًا، بل أحمد الله عليه، وأفرح بكل روحٍ رجعت إلى ربها في هذا الشهر العظيم، وقد قال النبي ﷺ: «**إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة**

وغُلِّقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين»، فالموسم موسمُ فتحٍ وتيسيرٍ ورحمة، ومن دخل عليه منكسرًا صادقًا خرج منه – بإذن الله – مرمَّمًا.

لكن مقصودي من عبارة: "**رمضان ليس طبيب طوارئ لكل علّة**" ليس نفي كونه يُنقذ، ولا إنكار كونه يُداوي، وإنما نفيُ صورةٍ شائعةٍ في الوعي المعاصر:

- أن رمضان "يُصلحني تلقائيًا" مهما كانت حالتي،
- وأنه "يكفي وحده" ولو بلا صدق، وبلا مجاهدة، وبلا استمرار بعده؛
- كأنَّ الشهر آلةُ إسعافٍ تعمل بمجرد دخول الوقت، لا موسمُ عبوديةٍ يعمل بقدر صدق الطلب.

فالفرق كبير بين "**رمضان طبيب**" بمعنى أنه موسمُ علاجٍ لمن دخل بصدق، وبين "**رمضان طبيب طوارئ لكل عِلّة**" بمعنى أنه يُعالج كل شيءٍ بلا شروطٍ قلبيةٍ ولا توبةٍ ولا ثبات.

ولذلك فالتعبير الأدق:

رمضان ليس علاجًا سحريًا يعفيك من مسؤولية التغيير، لكنه موسمُ رحمةٍ يُضاعف فرص التغيير، ويجمع لك من أسباب الهداية ما لا يجتمع في غيره؛ فمن جاءه منكسرًا تائبًا كان له أن يكون – واقعًا – "طبيب طوارئ"، لا لأن الشهر يقوم مقام التوبة، بل:

١. لأن الله يفتح فيه أبواب الرجوع،
٢. ويُقوّي فيه دافع الإنابة،
٣. ويُعين العبد على نفسه.

ومن هنا نفهم لماذا يخرج كثيرون من رمضان كما دخلوا:

- لأنهم حضروا "**الوقت**" ولم يحضروا "**القلب**"،
- وعاشوا "**الشعائر**" ولم يعيشوا "**التسليم**".

فشهادتك الجميلة — أختي الكريمة — ليست ردًا على الفكرة، بل هي تطبيقٌ وهذا هو جوهر العبارة: رمضان يُنقذ حين يكون موسم رجوع، لا حين يُتّخذ "ضمادًا" دون توبة، ولا حين نُحمّله أن يمحو تراكمات عامٍ كاملٍ من الغفلة دون صبرٍ واستقامة.

لذا قلتُ: لا نُحمّل رمضان ما لا يحتمل؛

١. أي لا نجعله بديلًا عن التربية الطويلة،

٢. ولا نعوّض به غياب الصدق بعده،

٣. بل نأخذ منه ما خُلق له: السَّكينة، والقرب، وبركة التسليم...

٤. وهذه هي التي تُنقذ فعلًا،

ونسأل الله الثبات بعد المواسم، لأن أعظم ثمرات رمضان ليست "قصة تُروى"، بل "أثرٌ يبقى".

لماذا القليل الصَّادق أنفع من الكثير المزيَّف؟

لأنَّ الصدق يُحيي القلوب من الداخل، ويمنح العمل جذوره، بينما التزييف – مهما كَثُر – لا يصنع حياة، بل يصنع تعبًا متراكمًا، إذ لا يلبث أن يُرهِق صاحبه حين ينقطع عنه الوقود الخارجي الذي كان يستند إليه.

القليل الصادق يدخل القلب بهدوء، ويستقرّ فيه، ويُغيّر الاتجاه على مهل، دون صخب ولا ادّعاء، أمّا **الكثير المزيَّف** فيمرّ على السطح، يُبهِر لحظة، ثم ينسحب، تاركًا القلب كما كان... أو أشدّ تعبًا لأن الجهد بُذِل بلا بناء.

القليل الصادق يُبنى عليه، لأنه نابع من وعيٍ صريح بالحاجة، ومحمول على نيّة واضحة، ومحروس بالاستمرار، فإذا كبر كبر طبيعيًا، بلا ضغطٍ على النفس ولا تصنّع في الأداء، لأن النمو هنا ثمرة صدق لا نتيجة سباق.

أمّا **الكثير المزيَّف** فيُبنى غالبًا على صورة، أو حماسةٍ عابرة، أو مقارنةٍ مُرهِقة، فإذا زال الدافع انهار البناء، وكشف خواءه، لأن ما لم يُؤسَّس على الصدق لا يصمد أمام أول هدوء.

القليل الصادق لا يحتاج شهودًا، ولا ينتظر تصفيقًا، ولا يطلب شعورًا دائمًا يُبرّر وجوده، بل يكفيه أن الله يعلم، وأن القلب يتربّى، وأن الطريق يُحفَظ، وهذا وحده كافٍ لمن عرف قيمة العبودية.

أمّا **الكثير المزيَّف** فيحتاج تغذية مستمرة من الخارج؛ نظرة تُطمئن، أو ثناء يُنعش، أو إحساسٍ متجدّد يُقنع صاحبه أنه ما زال "**ناجحًا**"، فإذا انقطع الوقود توقّف السَّير، لأن المحرّك لم يكن في الداخل.

ولهذا كان القليل الصادق أنفع وأبقى،

١. لأنه يُربّي العبودية،
٢. ويُسقِط وهم الإنجاز،
٣. ويُعلِّم النفس أن تمشي لله لا لنفسها،
٤. وأن تفرح بالاستقامة لا بالصورة.

وفي رمضان يظهر هذا الفرق بوضوح؛

- قد ترى من يعمل قليلًا لكن قلبه يلين، وخلقه يهدأ، وصدقه يثبت،
- وترى من يعمل كثيرًا لكن قلقه يزيد، وحمله يثقل، وأثره يتبدّد، لأن الجهد لم يجد موضعه الصحيح.

١. الله تعالى لا ينظر إلى ما جمعنا من أعمال، بل إلى ما صدقنا فيه،
٢. ولا يُبارك في الكثرة إذا قامت على تزيين،
٣. ويُنمّي القليل إذا قام على إخلاص،
٤. لأن البركة لا تُقاس بالعدد، بل بالوجهة.

ومن فهم هذا الميزان دخل **رمضان** مرتاحًا،

- ❖ لا يُطارد الأرقام،
- ❖ ولا يجلِد نفسه إن قلّ،
- ❖ بل يحرس صدقه،
- ❖ ويترك للكثرة أن تأتي في وقتها... إن أراد الله.

وهكذا يُفهَم الميزان حقًّا:

١. القليل الصادق طريقٌ يُوصِل،

٢. والكثير المزيَّف عبءٌ يُثقِل،

٣. ومن اختار الطريق وصل... ولو ببطء.

كيف نحفظ ما بُني في رجب وشعبان من الانهيار؟

الانهيار لا يقع لأن ما بُني كان وهمًا،

١. بل لأنه تُرِك بلا حراسة،

٢. أو حُمِّل فوق طاقته،

٣. أو طُولِب بأن يُثمِر قبل أوانه؛

فالبناء الصادق يضعف لا حين يكون خاطئًا، بل حين يُعامَل بعجلةٍ لا تُراعي طبيعته.

ما بُني في **رجب** من وعي، وفي **شعبان** من تثبيت، لا يُحفَظ بالاندفاع في **رمضان**، ولا بالقفز فوق المراحل، بل بالوفاء للإيقاع الذي بُني عليه، وباحترام السنّة الهادئة التي نشأ فيها.

أول ما يحفظه أن لا نغيّر القواعد عند الدخول؛

١. فلا نرفع السَّقف فجأة،

٢. ولا نُبدّل قرارًا ثابتًا بسلسلة قرارات متلاحقة،

٣. لأن التغيير المفاجئ – مهما بدا حماسيًا – أقرب طريقٍ للهدم، لا للتكميل.

ويحفظه أن تُبقى النيّة في موضعها الصحيح: عبودية لا إنجاز، لأن ما بُني على الافتقار لا يصمد إذا حُمِّل بعقلية الأداء والتقييم، وما نشأ طلبًا لرضا الله يضعف إذا زُوحم بطلب النتيجة.

ويحفظه أن نُغلق باب المقارنة بإحكام؛ فالمقارنة أول مسمارٍ في نعش الثبات، تدفع إمّا إلى الإفراط المُنهِك أو إلى الانسحاب المُحبِط، وفي الحالتين يضيع ما صَدَق وكان قابلاً للنمو.

ويحفظه أن نقبل الأيام العادية في رمضان كما هي، فلا نُخاصم هدوءها، ولا نُفسِّر سكونها فشلًا، لأن الهدم يبدأ حين نطلب من كل يومٍ أن يكون ذروة، ومن كل عبادةٍ أن تكون استثناء.

ومن أعظم ما يحفظه أن نُبقي للخفاء نصيبًا ثابتًا؛ عملًا لا يُرى، ولا يُقاس، ولا يُناقَش، لأن ما يُربّى في السِّر هو آخر ما ينهار، وأبقى ما يصمد حين تخفت الأضواء.

وإن وقعت هفوة، فلا نُكبّرها، ولا نُراكم عليها جلدًا للنفس، بل نعود إلى القرار الأول بهدوء، كما يعود السالك إلى الطريق لا ليبدأ من الصفر، بل ليُكمِل من حيث كان.

ما بُني في **رجب وشعبان** ليس مشروع كمالٍ مُستعجَل، بل مسار صدقٍ طويل، والمسار الصادق لا ينهار إلّا إذا هُجِر، لا إذا تعثّر.

فاحفظه بالهدوء، وبالثبات، وبأن تترك لله شكل الثمرة وزمانها؛ فمن سلّم ما بُني، وتخلّى عن استعجال حصاده، تولّى الله حفظه... ولو وسط العاصفة.

كيف نعيش رمضان بهدوء التسليم... لا قلق الأداء؟

نعيش رمضان بهدوء حين نُسلِّم منذ البداية:

١. أننا عباد لا مشاريع إنجاز،
٢. وأن الله تعالى لا يريد منا الكمال ولا الصورة المكتملة ولا الأداء الخالي من النقص، بل يريد الصدق، والرجوع، والوفاء بما نقدر عليه دون تزييف ولا ادّعاء.

قلق الأداء يبدأ..

← حين نُراقب أنفسنا أكثر مما نُراقب قلوبنا،
← وحين نحسب الأيام بالأرقام لا بالوجهة،
← وحين نخاف أن "**نفشل**" في البرنامج أكثر مما نخاف أن نُزيّف النِّيَّة أو نُحمّل العبادة ما لم تُخلَق له.

أمّا هدوء التسليم فيبدأ.. حين نُعيد ترتيب السؤال الداخلي؛

- لا نسأل بقلق: كم فعلت؟
- ولا: كيف بَدَوت؟
- بل نسأل بصدق: هل أنا حاضر؟
- هل أنا صادق؟
- هل أعود إذا فترت؟

لأن هذه الأسئلة تُنقِذ ولا تُرهِق، وتُربّي ولا تُحاسِب.

نعيش رمضان بهدوء...

١. حين نقبل أن بعض الأيام ستكون عادية؛ بلا دموع، وبلا خشوعٍ عالٍ، وبلا شعورٍ مميّز،
٢. ونفهم أن هذا ليس خللًا ولا علامة فشل، بل طبيعة الطريق، وأن الامتحان الحقيقي يكون في هذه الأيام لا في لحظات الذروة.

نعيش رمضان بهدوء...

- ◄ حين نثبت على القليل الذي صَدَق، ولا نُطارِد الكثير الذي يُرهِق،
- ◄ وحين نوقن أن الثبات – ولو كان صامتًا – أقرب إلى القبول من التقلّب،
- ◄ وأن العمل الذي يُحفظ أولى من العمل الذي يُبهِر.

نعيش رمضان بهدوء...

- ◄ حين نترك لله تقييم العمل، وزمان الأثر، وشكل الثمرة،
- ◄ ونكتفي بأن نُسلِّم الجهد بنيةٍ صحيحة، دون استعجال، ودون اشتراط إحساسٍ معيّن، ودون مطالبةٍ بعاجل الثواب.

وإذا وقعت هفوة لا نُعلن الانهيار، ولا نجلد النفس، ولا نُبدّل الطريق، بل نعود بهدوء كما يعود العبد إلى ربّه، لا كما ينسحب المتنافس من مضمارٍ خسره.

رمضان لا يُعاش بالصراخ الداخلي، ولا بالضغط، ولا بالمقارنة، بل بالسَّكينة؛ لأن السَّكينة علامة أن القلب عاد إلى مكانه الصحيح، وأن العبد فهم موضعه من الطريق.

ومن عاش رمضان بهدوء التسليم خرج منه أقرب ولو لم يَشعُر كثيرًا، وأصدق ولو لم يُبهِر أحدًا، وأثبت ولو لم يحمل قصة تُروى، لأن القرب الحقيقي لا يصنع ضجيجًا.

وهكذا يُعاش رمضان كما جُعل له:

←موسم رحمة لا مضمار قلق،

←وطريق عبودية لا سباق أداء.

لماذا ينهار كثير من الناس في منتصف رمضان؟

لأنهم دخلوا رمضان بأقصى طاقتهم الجسدية والنفسية، لا بأقصى صدقهم القلبي، فبذلوا جهدًا أكبر مما يستطيع القلب أن يحمله طويلًا، ثم تعجّبوا حين خذلتهم النفس، مع أن الخلل لم يكن في الطريق، بل في طريقة الدخول إليه.

الانهيار لا يأتي فجأة، ولا يقع في منتصف الشهر صدفة، بل يبدأ قبل رمضان؛

١. حين يُبنى الاستعداد على الاندفاع لا على التثبيت،
٢. وحين تُرفع السقوف بلا حساب،
٣. وتُحمَّل الأيام ما لا تحتمل،
٤. فيُستهلك الرصيد مبكرًا.

كثيرون بدأوا بقوة، لكن بلا جذور، وبحماسة، لكن بلا إيقاع، فجعلوا النصف الأول سباقًا مرهقًا، والنصف الثاني استنزافًا صامتًا، **لأن الجهد سبق الحكمة.**

ينهار بعضهم لأنهم دخلوا ليُثبتوا لا ليُربَّوا، فحملوا عبء الصورة مع عبء العبادة، والنظر مع العمل، والتوقّع مع الأداء، فثقل الحمل، وتوقّف السَّير، لا لضعف الدين، **بل لثقل المقصد.**

وينهار آخرون لأنهم ربطوا الطاعة بالشعور؛ فإذا خفّ الخشوع، أو غاب الدافع، ظنّوا أن الطريق انتهى، بينما الحقيقة أن الطريق كان يدخل مرحلته الطبيعية التي تُختبَر فيها المداومة لا الحماسة.

ومنهم من انهار لأنه لم يتعلّم المداومة، فأكثر في البداية، ولم يحرس القليل، فلمّا جاء التعب لم يجد ما يَثبُت به، لأن ما لم يُبنَ على الثبات لا يُنقِذ عند الفتور.

رمضان لا يكشِف ضعف الإرادة فقط، بل يكشف خطأ التقدير؛ فالذي لم

يتعلّم في شعبان كيف يُداوم بلا حرق، ويمشي بلا إفراط، سيدفع ثمن ذلك في منتصف الطريق، ولو كان حسن النِّية.

الانهيار في جوهره ليس علامة سوء قصد، بل علامة أن الإيقاع كان خاطئًا، وأن القلب لم يُعطَ حقّه من السقيا الهادئة، ولا النفس حقّها من التدرّج، فاستُنزفت قبل الأوان.

ولهذا كانت النجاة في رمضان ليست في أن نبدأ بقوة، بل في أن نُكمِل بثبات، وأن نُدرك أن أعظم الأعمال ما صمد إلى آخر الطريق، ولو بلا ضجيج ولا شعورٍ لافت.

ومن فهم هذا لم ينهر في منتصف رمضان، بل هدأ، وخفّف، وأكمل... فنال.

خريطة الإصلاح الكبرى في شهر رمضان

(من منطق الإنجاز إلى مقام العبودية، ومن الاندفاع إلى الثبات)

رمضان ليس مرحلة زيادة بقدر ما هو مرحلة إظهار ما استقرّ، وليس موسم اختبارات جديدة، بل ميدان كشفٍ وتكميلٍ لما سبق زرعه، ولهذا فخريطة الإصلاح فيه لا تُبنى على كثرة المحاور، بل على وضوح الوجهة وترتيب الأولويات، **حتى لا يتحوّل الشهر من موسم رحمة إلى ساحة استنزاف**.

المحور الأول: إصلاح النِّيَّة (تصحيح الوجهة قبل تصحيح العمل)

أول الإصلاح في رمضان أن تُحسَم النيّة نهائيًا:

١. عبودية لا إنجاز،
٢. وتسليم لا إثبات،

٣. وطلب قبول لا طلب شعور،

فكل عبادة في هذا الشهر تُفرَغ من روحها إذا دخلت بعقلية الأداء أو المقارنة أو التعويض.

الإصلاح هنا يعني أن يستقرّ في القلب يقين واحد:

١. أنا هنا لأُربَّى، لا لأُدهِش،

٢. ولأُقبَل، لا لأُقيَّم،

٣. ولأقف بين يدي الله عبدًا، لا مشروعًا ناجحًا.

المحور الثاني: إصلاح العلاقة مع الزمن (من الضغط إلى الإيقاع)

رمضان لا يُعاش بعقلية "أستغلّ كل دقيقة"، بل بعقلية "**أحفظ الإيقاع الذي لا يحرق**"، لأن الزمن في رمضان ليس عدوًا يُطارَد، بل وعاء رحمة يُسكن فيه القلب.

الإصلاح هنا..

١. أن نكفّ عن تكديس اليوم،

٢. ونقبل التفاوت بين الأيام،

٣. ونتعلّم أن اليوم الهادئ الصادق قد يكون عند الله أعظم من يومٍ مزدحمٍ مُنهِك.

المحور الثالث: إصلاح العبادة (من الكثرة إلى الثبات)

العبادة في رمضان لا يُطلب منها أن تكون كثيرة بقدر ما يُطلب منها أن تكون مستقرة، فالقليل الذي صمد إلى آخر الشهر أنفع من الكثير الذي انهار في منتصفه.

الإصلاح هنا:

١. أن تُختار عبادات محدودة واضحة،
٢. تُؤدَّى بنيّة واعية،
٣. وتُحرس من التوسّع،
٤. ويُمنع عنها الاستعراض،
٥. حتى تبقى قابلة للاستمرار بعد رمضان.

المحور الرابع: إصلاح العلاقة مع الشعور (من التعلّق إلى القبول)

أخطر ما يُفسد رمضان ربط الطاعة بالشعور؛ لأن الشعور متقلّب، بينما الطريق يحتاج ثباتًا.

الإصلاح هنا:

١. أن نفهم أن الخشوع ليس دائمًا،
٢. وأن الفتور ليس فشلًا،
٣. وأن الأيام العادية ليست خللًا،
٤. وأن الله تعالى يقبل العمل الصادق ولو بلا إحساس،
٥. وأن الشعور إن جاء فهو فضل، لا شرط.

المحور الخامس: إصلاح القلب من المقارنة والاستعراض

رمضان يُفسده النظر للناس أكثر مما يُفسده التقصير؛ لأن المقارنة تُبدّل الوجهة دون أن تُسقط العمل.

الإصلاح هنا:

١. أن يُغلق باب المقارنة تمامًا،
٢. وأن يُربط العمل بالله لا بالمشهد العام،

٣. وأن يُفصل بين العبادة والظهور،
٤. لأن ما يُربّى في الخفاء هو آخر ما ينهار.

المحور السادس: إصلاح التعامل مع الفتور والهفوات

الفتور في رمضان ليس خطرًا، بل الهروب عند الفتور هو الخطر.

الإصلاح هنا..

١. أن نتعلّم الرجوع الهادئ لا الانسحاب،
٢. وأن نعود إلى القرار الأول بدل اختراع بدايات جديدة،
٣. وأن نفهم أن السقوط لا يُسقط المسار ما دام العبد لم يهجر الطريق.

المحور السابع: إصلاح مفهوم النجاح في رمضان

النجاح في رمضان ليس في عدد الختمات، ولا في طول القيام، ولا في كثافة البرنامج، بل في سلامة الوجهة عند الخروج.

الإصلاح هنا... أن يُقاس النجاح بثلاثة معايير فقط:

١. هل صار القلب أصدق؟
٢. هل صار الرجوع إلى الله أسهل؟
٣. هل بقي شيء من الطريق بعد انقضاء الشهر؟

المحور الثامن: إصلاح الخروج من رمضان (من الذروة إلى الاستمرار)

أخطر لحظة في رمضان ليست بدايته، بل نهايته، حين يظنّ العبد أن الموسم انتهى.

الإصلاح هنا...

١. أن يُخرج رمضان قرارًا قابلًا للحياة، لا تجربة جميلة منتهية،

٢. وأن يُحفظ القليل الذي صمد، ويُبنى عليه بعد الشهر،

٣. لأن الله تعالى لا يُريد موسمًا يُعجبنا، بل مسارًا يُنقذنا.

الخلاصة الكبرى للخريطة

رمضان لا يُصلِح من طلب الإبهار، ولا يُنقِذ من استعجل الثمرة، ولا يُثمِر لمن حمّله ما لا يحتمل، لكنه يُغيّر – بعمق – من دخله مسلِّمًا، صادقًا، ثابتًا، قليل الادّعاء، كثير الرجوع.

ومن سار في رمضان بهذه الخريطة...

١. لم يخرج منه منهكًا،

٢. ولا فارغًا،

٣. ولا مُحبَطًا،

بل خرج ...مُعاد التوجيه وهذا أعظم الإصلاح.

الهدف التربوي لخريطة الإصلاح الكبرى في شهر رمضان

◄ **الهدف التربوي** من هذه الخريطة ليس صناعة رمضانٍ مُبهِر، ولا تخريج عباداتٍ مرتفعة السقف سريعة الانطفاء، بل إعادة توجيه القلب توجيهًا جذريًا

١. من عقلية الأداء إلى مقام العبودية،

٢. ومن طلب الشعور إلى طلب القبول،

٣. ومن اللهاث خلف النتائج إلى السَّكينة في التسليم.

◄ **الهدف التربوي** أن يخرج القارئ من وهم أن رمضان مشروع إنجازٍ مؤقّت، إلى يقين أنه مرحلة إعادة ضبط للبوصلة، يتعلّم فيها كيف يسير إلى الله بصدقٍ لا بضجيج، وبثباتٍ لا باندفاع، وبوعيٍ لا بمقارنة.

◄ **الهدف التربوي** أن يُنقَل المسلم من عبادة تُستنزف فيها النفس ثم تنهار، إلى عبادة تُربّي القلب وتُثبّت المسار، وأن يفهم أن أعظم ما يربحه في رمضان ليس كثرة الأعمال، بل سلامة الاتجاه، وليس ارتفاع الشعور، بل صدق النيّة، وليس قصة تُروى، بل قرارًا يبقى.

◄ **الهدف التربوي** أن يتعلّم القارئ:

١. كيف يعيش الموسم دون أن يُحمِّله ما لا يحتمل،
٢. وكيف يتعامل مع الفتور دون انسحاب، ومع الهفوة دون جلد، ومع الأيام العادية دون اتهام للطريق،

فيتحوّل رمضان من ساحة قلق إلى مدرسة طمأنينة.

◄ **الهدف التربوي** أن يُعاد تعريف النجاح في الوعي؛ فلا يُقاس بما يُرى، ولا بما يُقال، ولا بما يُحصى، بل بما تغيّر في الداخل، وبما ثبت بعد الزوال، وبما بقي صالحًا للحياة بعد انقضاء الموسم.

والغاية النهائية لهذا المسار...

أن يدخل المسلم رمضان عبدًا لا متسابقًا، ويخرج منه مُعاد التوجيه لا مُنهكًا، يحمل قلبًا أصدق، ونيَّة أوضح، وطريقًا قابلًا للاستمرار،

لأن التربية الحقيقية لا تُنتج لحظة مدهشة... بل تُنشئ إنسانًا ثابتًا.

دعاء ختامي:

اللهم إنّي لا أخرج من شهرك متكئًا على ما عملت، ولا معتمدًا على ما أنجزت، ولا مزهوًّا بما ظننتُه قربًا، بل أخرج إليك بقلبي كما هو؛ بما رقَّ فيه وما قسا، بما تغيّر وما قاوم، وبما استجاب وبما ظلّ يؤجّل، لأنّي أعلم أن الميزان عندك ليس كثرة الأفعال، بل صدق الاتجاه.

اللهم إن كان رمضان قد مرّ عليّ ولم يُصلِح فيّ موضع الخلل، فاغفر لي وَهْم

الرضا، ولا تجعل طاعتي شاهدًا عليّ، ولا تجعل ما قرأتُه حُجّةً تُخاصمني، بل اجعل ما استقرّ في قلبي نورًا يقودني بعد انقضاء الشهر، حين تخفّ الأصوات، وتقلّ العيون، ويبقى الصدق وحده.

اللهم إنّي أسألك قلبًا خرج من رمضان أخفَّ ممّا دخله، أصدق ممّا كان، وأقرب ممّا يظن، قلبًا لم يعد يطلب الطمأنينة قبل الإصلاح، ولا الراحة قبل المواجهة، ولا الأثر قبل الإخلاص، قلبًا تعلّم في شهرك أن القرب منك يُبنى في الداخل قبل أن يظهر في الخارج.

اللهم لا تجعل رمضان نهاية اندفاع، بل بداية ثبات، ولا تجعله ذكرى عابرة، بل أصلًا يُرجَع إليه، ولا تجعلني ممّن أحسنوا في الموسم ثم عادوا إلى ما كانوا عليه، بل ممّن تعلّموا في شهرك كيف يحملون النور معهم إلى الأيام العادية.

اللهم إن كان في قلبي ما لم يتغيّر بعد، فلا تَصرف قلبي عن بابك، وإن كان في طريقي ما لم يستقم، فلا تتركني، وإن كان في داخلي ما يحتاج وقتًا، فامنحني صبرًا وصدقًا، ولا تجعلني أستبدل التربية بالعجلة، ولا الإصلاح بالاستعراض.

اللهم اجعل ما بقي من عمري امتدادًا لما وُلد في رمضان، لا نقضًا له، واجعل طاعتك عندي اختيارًا واعيًا لا اندفاعًا موسميًا، وثباتًا هادئًا لا حماسةً مؤقّتة، وقربًا يُثمر خُلُقًا وسلوكًا حين لا يراني أحد.

اللهم تقبّل منّا ما كان خالصًا، وتجاوز عمّا كان ناقصًا، ولا تحرمنا أثر ما تعلّمناه، واجعل صلاح القلوب هو أعظم ما خرجنا به من شهرك، لأنك تعلم أن القلوب إذا صلحت بمعرفتك وتعظيمك، استقام بعدها كل شيء.

اللهم هذا ختام رمضان، لا ختام الرجوع، فثبّتني على دينك، ولا تردّني إلى نفسي، واجعلني بعد شهرك عبدًا يرى طريقه، ويعرف لماذا يمشي، وإلى أين...

آمين.

الوظائف التربوية الأساسية لكل شهر على حدة

أولًا: الوظائف التربوية لشهر رجب

(شهر الكشف وإسقاط الأوهام)

١. **الوظيفة التربوية الأولى لرجب هي وظيفة الكشف؛** كشف ما بين العبد وربّه بلا تزيين ولا تجميل، وإسقاط الصورة الدينية التي اعتاد الاحتماء بها، حتى يرى قلبه كما هو، لا كما يحب أن يراه.

رجب لا يُصلِح الخلل، بل يُسمّيه، ولا يُداوي الجرح، بل يضع الإصبع عليه، لأن التربية لا تبدأ بالعلاج قبل التشخيص، ولا بالعمل قبل الصدق.

٢. **الوظيفة الثانية لرجب هي تفكيك الغفلة المقنّعة؛** تلك الغفلة التي تعيش تحت غطاء الالتزام الظاهري، فيُعاد تعريف التقصير لا بوصفه قلّة أعمال، بل بوصفه خلل وجهة، أو ضعف حضور، أو علائق قلب لم تُمسّ.

٣. **الوظيفة الثالثة لرجب هي إعادة الحسّ بالافتقار؛** أن يعود القلب إلى مقام "**أنا محتاج**" بعد أن استقرّ طويلًا في مقام "**أنا بخير**"، لأن أعظم ما يفسد السَّير هو الاكتفاء الوهمي، لا الذنب الصريح.

٤. **الوظيفة الرابعة لرجب هي تحرير السؤال الصحيح؛** ليس: ماذا سأفعل؟ بل: ما الذي فيّ يحتاج إصلاحًا؟ وليس: كيف أبدو؟ بل: أين أضعف؟ وهذا التحول في السؤال هو أعظم تربية يخرج بها العبد من رجب.

وباختصارٍ تربويٍّ جامع:

- رجب يُربّي الصدق مع النفس،
- ويسقط وهم السَّلامة،
- ويؤسس أرضية حقيقية لا زائفة لما بعده.

ثانيًا: الوظائف التربوية لشهر شعبان

(شهر التثبيت وحراسة القرار)

١. **الوظيفة التربوية الأولى لشعبان هي تحويل الوعي إلى التزام؛** فبعد أن كُشِف الخلل في رجب، يأتي شعبان ليسأل السؤال الأصعب: هل سنحرس ما رأينا أم نتركه يذوب؟.. شعبان لا يضيف معرفة جديدة، بل يختبر صدق المعرفة القديمة.

٢. **الوظيفة الثانية لشعبان هي تعليم المداومة بلا احتراق؛** أن يتعلّم القلب كيف يثبت على القليل دون توسّع، وكيف يحفظ الإيقاع الذي لا يحرق ولا يُفرّط، لأن التربية الحقيقية لا تُقاس بالقفزات، بل بالثبات في الأيام العادية.

٣. **الوظيفة الثالثة لشعبان هي إغلاق أبواب الإفساد الخفي؛** المقارنة، والاستعراض، وطلب الشعور، والتوسّع غير المنضبط، لأن هذه الأربعة هي العدوّ الحقيقي لأي قرار صادق قبل رمضان.

٤. **الوظيفة الرابعة لشعبان هي تربية الصبر الصامت؛** صبر بلا ضجيج، وبلا حديث عن النفس، وبلا انتظار أثر فوري، لأن ما لا يُربّى في الصَّمت لا يصمد في المواسم.

وباختصارٍ تربويٍّ جامع:

- شعبان يُربّي الوفاء للقرار،
- ويعلّم كيف نحرس القليل،
- ويؤسّس قدرة الاستمرار قبل دخول رمضان.

ثالثًا: الوظائف التربوية لشهر رمضان

(شهر التسليم وكشف الصدق)

١. **الوظيفة التربوية الأولى لرمضان هي إسقاط وهم السيطرة؛** السيطرة على النتائج، وعلى الشعور، وعلى الأثر، وعلى الزمن.
رمضان يُربّي العبد على أن يعمل ويسلّم، لا أن يعمل ويتحكّم.

٢. **الوظيفة الثانية لرمضان هي كشف حقيقة المسار؛** لا بإنشاء جديد، بل بإظهار ما صَلُح وما لم يَصْلُح، لأن رمضان لا يُغيّر الاتجاه، بل يفضحه، ولا يبدأ الطريق، بل يُظهر صدقه.

٣. **الوظيفة الثالثة لرمضان هي تربية القبول بدل الشعور؛** أن يتعلّم القلب أن القبول ليس إحساسًا، وأن الخشوع ليس مقياس النجاح، وأن الله تعالى يقبل الصادق ولو بلا لذّة، ويردّ المزيَّن ولو مع بكاء.

٤. **الوظيفة الرابعة لرمضان هي تثبيت الهوية العبودية؛** أن يخرج العبد من كونه "**مؤديًا موسميًا**" إلى كونه "**عبدًا مستمرًا**"، يحمل من الشهر ما يصلح للحياة لا ما يصلح للعرض.

٥. **الوظيفة الخامسة لرمضان هي تعليم الخروج الصحيح؛** أن لا ينتهي الشهر بانتهاء الجو، بل يبقى منه قرار واحد على الأقل صالح للاستمرار، **لأن أعظم فشل رمضاني هو الانقطاع الكلّي بعده.**

وباختصارٍ تربويّ جامع:

- رمضان يُربّي التسليم والطمأنينة والصدق العميق،
- ويُعيد توجيه القلب لا استنزافه.

الخلاصة الجامعة

◄ **رجب يُربّي الصدق ويكشف العيب**

◄ **شعبان يُربّي الثبات ويحرس القرار**

◄ **رمضان يُربّي التسليم ويُظهر الحقيقة**

ومن فهم وظائف الأشهر على هذا النحو:

١. لم يَطلب من شهرٍ ما جُعل لشهرٍ آخر،

٢. ولم يُحمّل رمضان ما لا يحتمل،

٣. ولم يخرج من المواسم خالي الوفاض،

بل خرج ...إنسانًا يعرف كيف يُكمِل.

الخريطة الإصلاحية الكبرى (رجب – شعبان – رمضان)

(من كشف الخلل... إلى تثبيت القرار... إلى تسليم الثمرة)

البُعد الإصلاحي	رجب: شهر الكشف	شعبان: شهر التثبيت	رمضان: شهر التسليم
السؤال المركزي	ماذا بيني وبين الله؟	هل سأحرس ما رأيت؟	هل أُسلِّم أم أُثبت؟
مهمة الشهر	كشف مواضع العطب بلا تزيين	حماية القرار من التآكل	تسليم العمل لله بلا قلق
الخطر الأكبر	الهروب من المواجهة	الاندفاع والتوسّع	قلق الأداء وطلب الإبهار
نوع العمل	وعي وتشخيص	مداومة هادئة	ثبات بلا ضغط
طبيعة العبادة	كاشفة للخلل	مُثبِّتة للقرار	مُسلَّمة بلا تعلّق
المطلوب من القلب	الصدق مع النفس	الصبر على الرتابة	الرضا وترك التحكم
المطلوب من العقل	الاعتراف لا التبرير	تنظيم الإيقاع	إسقاط التقييم
موقفك من الشعور	لا تطلبه	لا تطارده	لا تشترطه
موقفك من الكثرة	غير مطلوبة	ممنوعة إن أضعفت	بلا قيمة إن أرهقت
موقفك من	مؤشر خلل	أساس الطريق	علامة القبول

القليل			
العلاقة بالناس	صمت ومواجهة داخلية	إغلاق باب المقارنة	غياب الاستعراض
العلاقة بالزمن	تأمل الماضي	تثبيت اليومي	عيش اللحظة
معيار النجاح	وضوح العيب	بقاء القرار	سلامة الوجهة
علامة الفشل	إنكار الخلل	تغيير الخطة كل أسبوع	ربط القبول بالشعور
تعامل الشهر معك	يعرّيك بلطف	يختبر صدقك	يكشف حقيقتك
أخطر وهم	"أنا بخير"	"سأزيد لأضمن"	"يجب أن أشعر"
الإنجاز الحقيقي	سقوط القناع	ثبات خطوة واحدة	قلب مطمئن
ما لا يريده الله	التجمّل	التوسع	الإبهار
ما يريد الله	صدق المواجهة	وفاء الاستمرار	حسن التسليم
الثمرة المتوقعة	قلب واعٍ	قرار راسخ	مسار مستمر
ما بعد الشهر	بداية صادقة	جاهزية حقيقية	طريق لا ينقطع

الخلاصة البنيوية للخريطة

◄ رجب لا يُصلِحك... بل يكشفك

◄ شعبان لا يرفعك... بل يثبّتك

◄ رمضان لا يبدأك... بل يتسلّمك

ومن حاول أن:

← يُصلِح في رجب ← ضلّ

← يُبهِر في شعبان ← انهك

← يُثبت في رمضان ← قلق

فقد خالف سنّة السير.

المعادلة النهائية

◄ ما كُشِف ولم يُحرَس ← ضاع

◄ وما حُرِس ولم يُسلَّم ← أُرهق

◄ وما كُشِف ثم حُرِس ثم سُلِّم ← أُثمِر

الهدف التربوي النهائي للخريطة

أن يخرج القارئ:

١. من رجب واعياً لا منكسراً..

٢. ومن شعبان ثابتاً لا متوتراً..

٣. ومن رمضان مُعاد التوجيه لا مُنهكاً..

لا يحمل قصة، ولا إنجازاً، ولا أرقاماً... بل يحمل قلباً يعرف كيف يُكمِل.

الملحق الختامي: ما الذي يحدث في الداخل؟ (حوارات قلبٍ وعقل)

كيف نبدأ هذه الحوارات؟

نبدأها حين نُسكت الضجيج الخارجي قليلًا،
وحين نسمح للقلب أن يتكلّم بلا تزيين،
وللعقل أن يُجيب بلا تبرير، لا ليحسم المعركة، بل ليكشف موضعها.
هذه الحوارات لا تبدأ بسؤالٍ ذكي، بل بلحظة صدق؛
حين يشعر الإنسان أن شيئًا ما في داخله لم يُسمَّ بعد،
وأن الأسئلة التي اعتاد ترديدها لم تعد كافية لشرح ما يحدث في العمق.
نبدأها حين نكفّ عن مخاطبة "الصورة الدينية" فينا،
ونخاطب الإنسان الذي يصلي ويتعب، ويصوم ويثقل،
ويحاول أن يكون صادقًا ولا يعرف دائمًا كيف.
نبدأها حين نضع القلب والعقل في غرفة واحدة،
لا ليغلب أحدهما الآخر، بل ليُمسكا الطريق معًا،
فالقلب بلا عقل اندفاع، والعقل بلا قلب قسوة،
ولا نجاة إلا إذا تكلّما.
نبدأها بلا افتراض كمال، ولا ادّعاء فهم، ولا طلب نتائج،
بل بسؤالٍ بسيط صادق: ماذا يحدث في داخلي حقًا... حين أعبد؟
ومن هنا تبدأ الحوارات، لا بوصفها أجوبة جاهزة،
بل مرايا تُمسكها لنفسك، وتقرأ...
فإن وجدت نفسك، فقد بدأ الطريق.

حوار (١)

القلب: دخلنا رمضان مثقلين، وخرجنا منه كما دخلنا... أين الخلل؟

العقل: الخلل أننا طلبنا من رمضان أن يغيّرنا، ولم نطلب من أنفسنا أن تتغيّر...

١. جعلناه موسم زيادة أعمال، لا موسم تصحيح مسار.

٢. زدنا قراءة وقيامًا، لكننا لم نمسّ جذور الغفلة ولا علائق القلوب ولا الذنوب المؤجَّلة.

العبادة التي لا تصل إلى موضع العطب تُرهق... ولا تُصلح.

حوار (٢)

القلب: إذاً... هل كثرة الختمات ليست دليل النجاح؟

العقل: هي شرف، لكنها ليست الميزان الأعلى... الميزان الحقيقي:

١. ماذا صنع القرآن فيك بعد رمضان؟

٢. هل غيّر قرارًا؟

٣. كبح شهوة؟

٤. أصلح خُلُقًا؟

قرآن لا يغادر المصحف إلى السلوك يبقى تلاوةً... لا هداية.

حوار (٣)

القلب: لكن السَّلف كانوا يختمون في أيام قليلة، ونحن نعجز عن ختمة واحدة!.

العقل: لأنهم قرؤوا بقلوبٍ حاضرة، ونحن نقرأ بقلوبٍ مثقلة.. ختماتهم كانت ثمرة صفاءٍ سابق، لا محاولة تعويضٍ لاحقة.

المقارنة دون فهم اختلاف الحال ليست تحفيزًا... بل ظلم للنفس.

حوار (٤)

القلب: أليس الذكر كافيًا لإصلاح القلب؟

العقل: الذكر دواء، لكنه لا يعمل في قلبٍ مُصرّ على معصيةٍ مفتوحة أو عادةٍ لم تُمسّ.

الذكر يُحيي قلبًا يريد الحياة، لكنه لا يُجبر قلبًا يرفض التغيير.

حوار (٥)

القلب: نصلي التراويح ونقوم الليل... فلماذا نعود بعد رمضان إلى القسوة؟

العقل: لأننا صلّينا "**الوقت**" لا "**المعنى**".

قيامٌ لا يترك أثرًا في النهار يتحوّل إلى مجهود ليلي بلا امتداد تربوي.

حوار (٦)

القلب: الاعتكاف... عزلة جسدية أم إصلاح داخلي؟

العقل: الاعتكاف الحقيقي حبس القلب لا الجسد... من اعتكف بجسده وبقي عقله في الخارج، خرج كما دخل... وربما أكثر تعبًا.

حوار (٧)

القلب: لماذا نشعر بالطمأنينة في رمضان ثم نفقدها سريعًا بعده؟

العقل: لأننا تعلّقنا بجوّ رمضان لا بربّ رمضان.. فلما زال الجو زالت الطمأنينة.

ما بُني على الموسم يزول بزواله، وما بُني لوجه الله يبقى.

حوار (٨)

القلب: هل عدم تغيّرنا يعني أن رمضان لم ينفعنا؟

العقل: ليس بالضرورة، لكنه مؤشر خطر... قد يكون النفع ضعيفًا أو مؤجّلًا أو ضاع بالاستهانة بما فُتح فيه.

رمضان يفتح الأبواب... لكن العبد هو من يقرر العبور أو الرجوع.

حوار (٩)

القلب: نحن أكثر ذنوبًا من الصحابة... ألسنا أحوج للطاعات منهم؟

العقل: نحن أحوج للتوبة قبل الإكثار.. الطاعة بلا توبة تُرهق ولا تُصلح، والتوبة الصادقة تُثمر ولو مع عملٍ قليل.

السلف زادوا على أصلٍ مستقيم، ونحن نحاول البناء على أرضٍ غير مُهيّأة.

وبهذا الخصوص وردني السؤال التالي:

"هل الإكثار من الطاعات في المواسم هو بذاته سرُّ صلاح الصحابة والصالحين، أم أن السرَّ كان في استقامةٍ سابقة جعلت المواسم زيادةً لا إسعافًا؟"

الجواب:

لم يُنكر أحد أن الصحابة والصالحين كانوا يُكثِرون من الطاعات في المواسم، ولا أن منهم من كان يختم القرآن كثيرًا، بل هذا ثابت عنهم، وهو شرف عظيم.

لكن الخطأ يقع حين نُسقِط فعلهم مجرّدًا عن سياقه القلبي والتربوي، فنظن أن الإكثار وحده هو السِّر، أو أن المشكلة فينا فقط لأننا "نقصّر في الكم".

الصحابة لم يُكثِروا لأنهم يخافون خفّة الميزان فحسب، بل لأن قلوبهم ممتلئة باليقين، حيّة بالمراقبة، مستقرّة على أصل الاستقامة.

فالموسم عندهم كان زيادة نورٍ على نور، لا محاولة إسعاف لقلبٍ منهك طوال العام... كانوا يدخلون رمضان وهم مستقيمون، فيخرجون أصفى، ونحن

– في الغالب – ندخله مثقلين، فنريده أن يُغيّرنا وحده دون أن نُغيّر نحن أسباب الغفلة.

ثم إن الفرق الجوهري ليس بين "**صالح**" و"**مذنب**" فقط، بل بين من جعل الطاعة بناءً متصلًا، ومن جعلها اندفاعًا موسميًا.

كثرة الذنوب لا تعالج بكثرة الأعمال المجردة وحدها، بل بتوبة صادقة، وتركٍ حقيقي، واستمرار بعد الموسم.

ولهذا كان السلف – مع كثرة أعمالهم – أشدّ الناس خوفًا من عدم القبول، لأنهم فهموا أن الميزان لا يُثقل بالعدد فقط، بل بالصدق، والمتابعة، والأثر بعد الطاعة.

وأما قولك: "**نحن أحوج للطاعات منهم**"، فهو صحيح من حيث الحاجة، لكنه خطير إن فُهم على أن الحل هو المراكمة بلا إصلاح الجذر.

لأن طاعة بلا أثر، ولا تغيير في السلوك، ولا حراسة بعد رمضان، قد تتحول **من وسيلة نجاة إلى مصدر أمنٍ زائف**.

رمضان ليس ساحة سباق أرقام، بل موسم إعادة توجيه: يُكثر فيه العمل، نعم، لكن ليُصلِح المسار، لا ليُغطّي الخلل.

فمن خرج منه ولم يتغير شيء في قلبه ولا سلوكه، فالمشكلة لم تكن في قلة الطاعة، بل في غياب المقصد.

والله المستعان... نعم، لكن الاستعانة ليست في "**أن نفعل أكثر فقط**"، بل في أن نفعل أصدق، ثم نثبت بعد الموسم.

حوار (١٠)

القلب: أخاف أن أحفظ القرآن ولا أعمل به...

العقل: هذا الخوف رحمة.. الخطر ليس في الحفظ، بل في الأمن من التقصير.

من حفظ وهو خائف أقرب للنَّجاة ممن حفظ وهو مطمئن لنفسه.

حوار (١١)

القلب: هل يمكن أن يمرّ رمضان ولا نأخذ منه شيئًا؟

العقل: نعم... إن حضر الجسد وغاب القلب.

رمضان لا يُؤخذ بالزمن بل بالحضور... من لم يلتقط سكينة أو قربًا أو صدقًا، عاش الشهر شكلًا بلا روح.

حوار (١٢)

القلب: ما أخطر فهمٍ خاطئ عن رمضان؟

العقل: كثير من الناس يظنّ أن رمضان وحده يكفي ليُصلِح كل شيء، حتى لو لم يُغيِّر الإنسان شيئًا من نفسه، وهذا فهم غير صحيح، ويُتعب صاحبه بعد الشهر بدل أن ينفعه.

١. أن نتصوره ممحاة بلا توبة: يعني أن يقول الإنسان في نفسه: رمضان سيغفر لي كل ما فعلت، وهو لا ينوي ترك الذنب، ولا يُراجع نفسه، ولا يُغيِّر سلوكه، وكأن الشهر سيمحو الخطأ وحده... بينما الحقيقة أن رمضان يُعين التائب، ولا يعمل بدل التوبة، فالذي يُصِرّ على الذنب ثم ينتظر أن يُمحى دون رجوع صادق، سيخرج كما دخل.

١. ومصلحًا بلا مجاهدة: أي أن ننتظر أن نتغيّر تلقائيًا، دون تعب، ودون صبر، ودون مقاومة للعادات القديمة، فنريد من رمضان أن يُصلِح أخلاقنا وألسنتنا وطباعنا، ونحن لا نُجاهد أنفسنا حين نغضب أو نخطئ أو نضعف.

رمضان يُخفّف الطريق، لكنه لا يُلغي المجاهدة، ومن لا يُجاهد نفسه

سيشعر بثقل الشهر بدل بركته.

٢. ومغيّرًا بلا استمرار: وهو أن نعيش رمضان بطاعة جميلة، ثم نترك كل شيء بعده، وكأن المطلوب أداء شهر فقط.

بينما رمضان لم يُشرَع ليكون محطة مؤقّتة، بل ليُعلّمنا طريقًا نستمرّ عليه، ولو بالقليل، ومن لا ينوي الاستمرار سيشعر بالحزن والفراغ بعد العيد.

وهذا تحميل للشهر ما لم يُجعل له.

حوار (١٣)

القلب: لماذا يندفع بعض الناس في رمضان ثم يخمدون بعده؟.

العقل: لأنهم عاشوا اندفاعًا عاطفيًا لا تربية إيمانية... الاندفاع يشتعل سريعًا وينطفئ سريعًا، أما التربية فبطيئة لكنها ثابتة.

رمضان مدرسة... لا مولّد مشاعر.

حوار (١٤)

القلب: هل كثرة البرامج والخطط قد تُضعف أثر رمضان؟.

العقل: نعم، حين تصبح الخطة غاية، والجدول ضغطًا، والعبادة إنجازًا.

أحيانًا القليل مع حضور القلب أنفع من الكثير مع التشتت.

حوار (١٥)

القلب: لماذا نشعر بالذنب أكثر من القرب في رمضان؟

العقل: لأننا قارنا أنفسنا بالناس لا بالله تعالى... فتحوّل الشهر إلى موسم جلد ذات لا موسم رحمة، مع أن الله فتح فيه باب الرجوع لا باب الإدانة.

حوار (١٦)

القلب: هل يمكن أن تُقسّي الطاعة القلب؟

العقل: نعم، إن خلت من التواضع والمحاسبة.

العُجب قد يُقسّي أسرع من المعصية.

حوار (١٧)

القلب: لماذا نقيس نجاح رمضان بما نشعر به؟

العقل: لأننا اعتدنا تقييم الدين بالمشاعر لا بالثمار.

المشاعر تزور... والثبات يبقى.

حوار (١٨)

القلب: الاعتكاف... هروب أم تدريب؟

العقل: تدريب.

من خرج عاجزًا عن إصلاح عاداته اليومية لم يعتكف بقلبه، بل استراح بجسده.

حوار (١٩)

القلب: لماذا نُكثر النوافل ونُضيّع الأخلاق؟

العقل: لأننا فصلنا بين العبادة والسلوك.

صارت الصلاة طقسًا لا ميزانًا.

حوار (٢٠)

القلب: هل نظلم رمضان حين لا نتغير بعده؟

العقل: نعم... الخلل في التلقّي لا في الشهر.

رمضان يعطي بقدر ما نضع.

حوار (٢١)

القلب: لماذا ينجح رمضان مع قوم ويفشل مع آخرين؟

العقل: الفرق في صدق النِّية قبل الدخول، لا في عدد الصلوات.

حوار (٢٢)

القلب: هل التغير المفاجئ علامة صدق؟

العقل: قد يكون... وقد يكون خطرًا.

الفارق: هل صاحبه خوف وتواضع، أم أمان من الزَّلل؟

حوار (٢٣)

القلب: لماذا نخاف من نهاية رمضان؟

العقل: لأننا ربطنا صلاحنا بالموسم لا بالمسار.

حوار (٢٤)

القلب: هل يجب أن نخرج بقصة تُروى؟

العقل: لا... أعظم الثمار تغييرات صامتة لا تُرى سريعًا.

حوار (٢٥)

القلب: ما أخطر علامة فشل؟

العقل: أن نخرج مطمئنين لأنفسنا... لا خائفين من التقصير.

حوار (٢٦)

القلب: هل يمكن أن يكون أكثر الناس اجتهادًا أقلهم فهمًا؟

العقل: نعم، حين يتحول الاجتهاد إلى سباق لا تزكية.

حوار (٢٧)

القلب: لماذا نسأل: كيف نختم؟ ولا نسأل: كيف نُغيَّر؟

العقل: لأن الأرقام أسهل من المواجهة.

حوار (٢٨)

القلب: ما السؤال الذي لو صدقنا فيه بعد رمضان لتغيّر كل شيء؟

العقل: ماذا بقي فيّ... لا ماذا أنجزت؟

وقفة:

القلب: إذاً... رمضان لا يُفشِل أحدًا؟

العقل: نعم.

لكن بعض القلوب تدخل عليه وهي لا تريد أن تتغيّر...
فتخرج كما دخلت، ثم تتعجّب.

حوار (٢٩)

القلب: لماذا يشعر بعض الناس أن رمضان "**ثقيل**" لا "**حبيب**"؟

العقل: لأنهم دخلوه وهم يحملون العبادات كتكليف لا كملاذ.

من دخل رمضان وهو يرى العبادة عبئًا، لن يجد فيه أنسًا، بل ضغطًا.
القرب لا يثقل... الذي يثقل هو الهروب.

حوار (٣٠)

القلب: لماذا ننتظر رمضان لنبدأ، ثم ننتظر انتهاءه لنتوقف؟

العقل:

١. لأننا ربطنا الطاعة بالزمان لا بالهوية.

٢. لم نصبح "عبادًا"، بل "مؤدّين مؤقتين".

٣. وما لم يتحوّل الدين إلى هوية، سيبقى موسميًا.

حوار (٣١)

القلب: هل الخطأ أنني لم أستطع المحافظة على كل ما فعلته في رمضان؟

العقل: الخطأ ليس في السقوط الجزئي، بل في الاستسلام الكلي... الثبات لا يعني عدم التعثر، بل سرعة الرجوع.

من طلب الكمال انقطع، ومن طلب الصدق استمر.

حوار (٣٢)

القلب: لماذا يتحوّل بعض الصائمين إلى عصبيين وقساة؟

العقل: لأنهم صاموا عن الطعام ولم يصوموا عن أنفسهم... الجوع كشف طباعًا لم تُربَّ، لا أخلاقًا تهذّبت.

الصيام الحقيقي يُضعف الأنا لا يُفجّرها.

حوار (٣٣)

القلب: لماذا لا تُهذّب الصلاة أخلاقنا كما نقرأ في النصوص؟

العقل: لأننا فصلنا بين الصلاة وبين مقصدها.

صلّينا الحركات، ولم نُدخل الصلاة إلى منطقة القرار والسلوك.

حوار (٣٤)

القلب: هل يمكن أن نقرأ القرآن ولا نخضع له؟

العقل: نعم، حين نقرأه ليُباركنا لا ليُحاسبنا.

القرآن لا يلين لقلبٍ يريد الاطمئنان لا التغيير.

حوار (٣٥)

القلب: لماذا نخرج من رمضان أكثر معرفة... لا أكثر خضوعًا؟

العقل: لأننا طلبنا الفهم قبل التزكية.

المعرفة إن لم تُسبق بتواضع، صارت حجابًا لا نورًا.

حوار (٣٦)

القلب: هل الانشغال بتصحيح الآخرين في رمضان علامة صلاح؟

العقل: غالبًا هو هروب من مواجهة النفس.

من راقب نفسه انشغل بها، ومن غفل عنها راقب الناس.

حوار (٣٧)

القلب: لماذا نحب رمضان... لكن لا نحب أوامره الثقيلة؟

العقل: لأننا نحب أثره علينا، لا تكلفته فينا.

نحب الطمأنينة، لكن لا نحب الانضباط الذي يُنقذها.

حوار (٣٨)

القلب: هل يمكن أن نُفسد رمضان ونحن نظن أننا نُعظّمه؟

العقل: نعم، حين نحوله إلى عرض، أو منافسة، أو مناسبة اجتماعية بلا خلوة صادقة.

التعظيم الحقيقي صمت القلب لا ضجيج الشكل.

حوار (٣٩)

القلب: لماذا نخاف من "الروتين بعد رمضان"؟

العقل: لأننا لم نبنِ عادات، بل اندفاعات.

الروتين يخيف من لم يُحسن التدرج.

حوار (٤٠)

القلب: هل الله يرضى عن عبادة تنتهي بانتهاء الموسم؟

العقل: الله يرضى عن قلبٍ صادق ولو قلّ عمله، ولا يرضى عن قلبٍ موسمي ولو كثر جهده.

حوار (٤١)

القلب: لماذا نُحب سماع المواعظ في رمضان ولا نحب المحاسبة؟

العقل: لأن الموعظة تُشعرنا أننا بخير، والمحاسبة تُخبرنا بالحقيقة.

حوار (٤٢)

القلب: هل كل من بكى في رمضان تغيّر؟

العقل: لا.. البكاء تفريغ، والتغيير التزام.. كم من دمعة لم يتبعها قرار.

حوار (٤٣)

القلب: لماذا نبحث عمّن "**يشبهنا**" دينيًا لنطمئن؟

العقل: لأن المقارنة تُسكّن القلق مؤقتًا، لكنها لا تُصلح الخلل.

من قارن نفسه بالحق تحرّك، ومن قارنها بالناس ارتاح... وخسر.

حوار (٤٤)

القلب: هل الشعور بالفتور بعد رمضان دليل نفاق؟

العقل: لا، بل دليل بشرية...

النفاق أن لا تشعر بشيء، وأن ترضى بالانقطاع.

حوار (٤٥)

القلب: ما أخطر خسارة بعد رمضان؟

العقل: أن نعتقد أننا أدّينا ما علينا، وأن نغلق باب المراجعة.

حوار (٤٦)

القلب: هل يمكن أن نعبد الله ونُخاصمه في داخلنا؟

العقل: نعم، حين نطيعه بالجوارح ونرفض حكمه في مناطق الألم.

التسليم الجزئي لا يُنقذ.

حوار (٤٧)

القلب: لماذا لا نُحب الحديث عن "ما بعد رمضان"؟

العقل: لأنه يكشف صدق التجربة.

ما قبل رمضان حماس، وأثناءه اندفاع، وبعده الحقيقة.

حوار (٤٨)

القلب: ما العلامة الأصدق أن رمضان مرّ عليّ حقًّا؟

العقل: أن تكره ما كنت تستهين به، وأن تستحي من ذنبٍ كان عاديًا، وأن تشتاق لله لا للشَّهر.

حوار (٤٩)

القلب: هل يمكن أن أكون صالحًا... لكن غير مُتزكٍّ؟

العقل: نعم، وهذا أخطر مقام...

صلاح بلا تزكية يُنتج قسوة مقنّعة.

حوار (٥٠) – الخاتمة العميقة

القلب: إذاً... ماذا كان ينبغي أن أطلب من رمضان؟

العقل: لا أن تكون أفضل من غيرك، ولا أن تخرج بصورة تُروى، بل أن تخرج أصدق مع الله تعالى مما دخلت.

لم يكن رمضان أزمة عبادات، ولا مشكلة برامج، ولا نقص مواسم، بل كان مرآة.

مرآة أظهرت ما في القلب حين خفّ الضجيج، وكشفت أين كنّا نبحث عن الله، وأين كنّا نبحث عن أنفسنا باسمه.

هذه الحوارات لم تُكتَب لتُدان بها النفوس، ولا لتُصنَّف بها التجارب، بل لتُعاد بها الأسئلة إلى مواضعها الصحيحة، بعد أن أرهقناها بإجابات جاهزة.

فمن وجد في هذه الأسئلة وجعًا، فذلك لأن شيئًا حيًّا لم يمت فيه بعد، ومن شعر بالمقاومة، فلأن القلب لا يُحبّ أن يُكشَف قبل أن يُسلِّم.

رمضان لم يطلب منّا أن نكون غير بشر، ولا أن نبلغ مقامات لا نحتملها، بل أن نصدق لحظة، وأن نكفّ عن تزيين المسار، وأن نسمح لله تعالى أن يُربّينا لا أن نستعرض بين يديه.

وإن خرج القارئ من هذه الصفحات:

١. بسؤال واحد بقي مفتوحًا بعد الشهر،
٢. بسلوك واحد تغيّر في العتمة،
٣. بحياءٍ جديد من ذنبٍ قديم،

فقد أخذ من رمضان نصيبه الحقيقي، ولو لم يحمل قصة، ولو لم يذكره أحد.

وهنا تنتهي الحوارات، لا لأن الأسئلة انتهت، بل لأن القلب صار يعرف أيّ سؤالٍ يستحق أن يُسأل... وأيّ جوابٍ يُترَك لله تعالى.

حين تتحوّل الكثرة إلى حجاب... ولماذا لم نكتب لك جدولًا

سيقول بعضهم – وقد قالوا فعلًا – : ولِمَ كل هذا؟ ولِمَ لا نُكثِر الصيام والقيام والذكر؟

- أليست هذه مواسم ذهبية؟
- أليس السَّلف يُكثرون؟
- أليس الإكثار هو دليل الصدق؟

وهنا لا بد من كلمة فاصلة، لا دفاعًا عن كتاب، بل دفاعًا:

١. عن معنى العبادة قبل عددها،
٢. وعن نجاة القلب قبل ازدحام العمل.

نعم... الإكثار من الصيام والقيام والقرآن شرف، ولا عاقل يُقلّل من شأنه، ولا صاحب قلبٍ حيّ يزهد فيه، ولكن السؤال الذي تهرّبنا منه طويلًا هو:

←لماذا كثُر العمل وقلّ الأثر؟

←ولماذا خرجنا من مواسمٍ كاملة أكثر تعبًا وأقلّ تغيّرًا؟

←ولماذا صارت العبادة عند كثيرين استنزافًا لا شفاءً، ومشقةً لا هداية؟

المشكلة لم تكن يومًا في كثرة الطاعات، بل في تحويلها:

١. **إلى بديل عن الصدق،**

٢. **وإلى غطاء عن الخلل،**

٣. **وإلى مهربٍ أنيق من المواجهة.**

كثيرون لا يُكثرون لأن قلوبهم اشتاقت، بل لأنهم لا يريدون أن يروا عيوبهم.

◄ **يُكثِر ليُسكِت السؤال، لا ليُجيب عنه.**

◄ **يُكثِر ليطمئن أنه "بخير"، لا ليُصلِح ما ليس بخير.**

وهنا جاء هذا الكتاب مختلفًا عن المألوف عن قصد، لا عن غفلة.

١. لم أضع لك جدولًا: لأن الجدول يُريحك من السؤال، وحقيقةً أردتُّك أن تقلق قليلًا.

٢. لم أرسم مخططًا: لأن المخطط قد يعطيك وهم السيطرة، وحقيقةً أردتُّك أن تتخلّى.

٣. لم أقل لك: صم كذا، واقرأ كذا، وقم كذا... لأن هذا كله – مع جلاله – لا يضمن أن قلبك كان حاضرًا.

←هذا الكتاب لم يُكتب لمن يبحث عن زيادة عدد، بل لمن يخاف من فقدان الصدق.

←لم يُكتب لمن يسأل: كم أختم؟ بل لمن يسأل: لماذا لا يغيّرني ما أقرأ؟

←لم أُلغِ العمل، بل أعدتُّه إلى مكانه الصحيح:

١. ثمرةً لا أصلًا،

٢. نتيجةً لا بديلًا،

٣. أثرًا للصدق لا قناعًا عليه.

❖ **رجب عندنا لم يكن شهر إكثار، بل شهر انكشاف؛**

لأنك إن صمتَ ألف يوم وقلبك يكذب، فما نالك من الصيام إلا التعب.

❖ **وشعبان لم يكن شهر تسخين، بل شهر حراسة؛**

لأن القرار الذي لا يصمد في الأيام العادية، لن تحمله مواسم الاستثناء.

❖ **ورمضان لم يكن ميدان سباق، بل ساحة تسليم؛**

لأن الله تعالى لا يُسلّم نوره لقلبٍ يُدير العبادة بعقله فقط.

فإن قال قائل: "هذا تشديد، والناس تحتاج التشجيع لا التفكيك"،

قلتُ له بهدوء:

- الناس شُجّعت كثيرًا... حتى ضاعت.
- وما نقص الأُمَّة حماس، بل بوصلة.
- وما أرهق القلوب قلة العمل، بل كثرة العمل بلا معنى.

هذا الكتاب لا ينافس كتب الجداول، ولا يعاديها، ولا يزعم أنه البديل عنها، لكنه...

١. **يخاطب فئة أرهقتها الجداول، وأتعبها العدّ، وخذلها الوهم.**
٢. **يخاطب من جرَّب الإكثار سنوات، ولم يجد نفسه أقرب إلى الله كما ظن.**
٣. **يخاطب من تعب من السؤال: لماذا أعود كما كنت؟**

فإن لم يُعجبك هذا الطريق، فلك غيره،

لكن لا تُطالب هذا الكتاب أن يكون ما لم يُرِد أن يكون.

هو لم يُكتب ليقول لك: "**افعل أكثر**"،

بل ليقول لك: "**افهم أولًا... واصدق... ثم افعل**".

وفي الختام أقولها بلا اعتذار:

١. **لستُ ضد الإكثار، لكنني ضد أن يُستَخدم الإكثار ستارًا عن الحقيقة.**

٢. ولستُ ضد الجداول، لكنني ضد أن تُغني عن سؤال القلب.

٣. ولستُ ضد الحماسة، لكنني أخاف أن تكون وقودًا بلا اتجاه.

هذا الكتاب...

← لمن أراد النَّجاة، لا الإنجاز،

← والصدق، لا التراكم،

← والتحوّل، لا الاستهلاك.

ومن فهم هذا... عرف لماذا لم أضع له جدولًا ولا مخططات.

خاتمة الكتاب

(هذا ليس برنامجًا... بل نجاة)

◄ هذا الكتاب لم يُكتب ليكون بديلًا عن العمل،

◄ ولا ليقترح وصفة جاهزة تُطبَّق ثم تُنسى،

◄ ولا ليَعِد بنتائج سريعة تُرضي القلق وتُسكِت الأسئلة،

بل كُتب محاولةَ تنبيهٍ ورحمةٍ قبل الموسم... حين كان الخطر الأكبر أن ندخل الطاعة بعجلة، ونخرج منها مثقلين بالخيبة من جديد، لا لقصور في الدِّين، بل لسوء الفهم والتلقّي.

لم نُرِد أن نزيد عليك أحمالًا، ولا أن نرفع سقف التكاليف، بل أن نُخفّف عنك؛

١. أن نُسقِط الوهم قبل أن نُراكم الجهد،

٢. وأن نُعيدك إلى السؤال الأوّل الذي يسبق كل عبادة صادقة: بأي قلبٍ أدخل؟

- لأن العمل إذا سبق القلب أرهقه،
- وإذا حُمل بغير نيّة أضاعه.

←هذا الكتاب لا يُنافس البرامج،
←ولا يُزاحم الجداول،
←ولا يُقلِّل من قيمة العمل،

بل يُذكِّر بما يسبقه ويحمله ويُباركه:

١. **القلب،**
٢. **والنيّة،**
٣. **والصدق،**

لأنَّ الأعمال لا تُثمِر بكثرتها وحدها، بل بما قام في القلوب عند أدائها.

- فالله سبحانه وتعالى لم يعدنا أن يُبارك في كل كثرة،
- ولا أن يُثمِر كل جهدٍ بحدّ ذاته،

لكنه وعد وعدًا لا يتخلّف أن لا يُضيّع قلبًا صادقًا أقبل عليه، ولو بخطوة صغيرة، ولو بعملٍ يسير، **لأن الميزان عنده صدق التوجّه لا ضجيج الأثر.**

إن خرجتَ من هذه الصفحات وأنت تعمل:

١. **أقلّ لكن بصدقٍ أكبر،**
٢. **وأهدأ لكن أوعى،**
٣. **وأخفّ لكن أقرب،**

فقد أدّت هذه الكلمات وظيفتها، لأن الغاية لم تكن تكثير الأعمال، بل تصحيح الوجهة.

وإن لم تتغيّر حياتك دفعة واحدة، لكن تغيّر اتجاهك، وسقط عنك وهمٌ واحد، أو حُفِظ في قلبك قرارٌ صادق من التآكل، فذلك – عند الله – كثير،

لأن التغيير الحقيقي يبدأ حين يستقيم المسار لا حين تكثر الحركة.

←هذا ليس برنامجًا لتُتقنه، ولا مشروعًا لتُنجزه، بل نجاةٌ لتتشبّث بها،

←وبوصلةٌ تمنعك من الضياع، لا طريقًا مختصرًا،

←ولا وعدًا بالاكتمال، بل إذنًا بالصدق، وسماحًا بالعودة، وتخفيفًا عن قلبٍ أتعبه الأداء وطالبه الكمال.

وما بعد هذا... ليس بينك وبين الورق، ولا بينك وبين كاتب، بل بينك وبين الله سبحانه وتعالى،

١. حيث تُوزَن **النيّات**،

٢. وتُحفَظ **الخطوات**،

٣. ويُثمِر **الصدق** في الوقت الذي يختاره سبحانه، وعلى الوجه الذي يُرضيه.

حين تستوي الأيام... لأنَّ القلب استوى

في نهاية كل موسم، وبعد أن تهدأ الأصوات، وتُطوى الجداول، وتخفت الحماسة، يبرز سؤال لا يقوله إلا قلب تربّى طويلًا على الصدق، سؤال لا يحمل اعتراضًا، ولا استخفافًا بالمواسم، بل يحمل دهشة وعيٍ استقرّ في الداخل:

١. لماذا لا أجد فرقًا كبيرًا بين الأشهر الحُرم وغيرها في سلوكي؟

٢. لماذا ما أفعله في رمضان هو ما أحرص عليه في غيره؟

٣. ولماذا لا أحتاج أن أُغيّر أخلاقي كلما تغيّر التاريخ؟

هذا السؤال ليس جفاءً مع المواسم، ولا تقليلًا من تعظيم ما عظّمه الله، وليس إنكارًا لفضل الأزمنة ولا لتغليظ الأجر والذنب فيها، بل قد يكون ـ إذا صَدَق صاحبه ـ علامة نضج تربوي عميق، لأن القلب الذي تعلّم أن يختار مراد الله كل يوم، لا يحتاج أن يُعاد ضبطه كلما أقبل موسم.

نعم، الأشهر الحُرم عظيمة، **ورمضان سيّد المواسم**، ويُضاعَف فيها الأجر، ويُغلَّظ فيها الوزر، وهذه حقائق شرعية لا يُجادَل فيها، **لكن الخطأ التربوي يبدأ حين نظنّ أن تعظيم الزَّمن وحده كافٍ لصناعة الاستقامة**، أو أن القلب لا يستقيم إلَّا إذا تغيّر الجوّ من حوله.

هناك فرق دقيق يغيب عن كثيرين: فرق بين من يتغيّر لأن الزمن تغيّر، ومن استقام لأن القلب استقام؛

الأول يحتاج المواسم ليكبح نفسه،

والثاني يعيش حياته كلّها تحت ميزان المراقبة، لا لأن قلبه كامل، بل لأنه درّبه أن لا يُساوم، وأن لا يقول: **هذا زمن يُغتفر فيه ما لا يُغتفر بعده.**

الأشهر الحُرم تُذكِّر الغافل، وتوقظ المتفلّت، وتفتح باب الرجوع لمن كان بعيدًا، لكنها لا تُنشئ المراقبة من العدم، ولا تصنع القلب الحيّ وحدها، بل تكشف ما كان موجودًا أصلًا؛

← فمن كان يُجاهد نفسه في غيرها، ظهرت ثمرته فيها ثباتًا لا اندفاعًا،

← ومن كان ينتظر الزمن ليضبطه، ظهر اضطرابه بانقضائه.

وحين تقول نفسٌ صادقة:

أنا لا أخصّص سلوكًا مختلفًا في الأشهر الحُرم، لأنني عوّدت نفسي أن أقول لها كل يوم: والله يا نفس، لن أُطاوعك على مرادك، بل على مراد الله، فهذه ليست قسوة، بل ثمرة مجاهدة طويلة، وليست تجاهلًا للمواسم، بل دليل أن المواسم أدّت وظيفتها في بناء الداخل، لا في استعارته مؤقتًا.

◄ رمضان في هذه الحال لا يأتي ليصنع أخلاقًا جديدة، بل ليُثبّت ما بُني،

◄ ولا ليقلب المسار، بل ليعمّق الاتجاه،

◄ ولا ليُغيّر السلوك فجأة، بل ليكشف صدق ما كان قائمًا قبل أن يبدأ،

ولهذا لا يشعر صاحب هذا القلب بانفصامٍ حادّ بعد انتهاء الشَّهر، **لأن**

عبادته لم تكن طارئة، ولا أخلاقه موسمية.

وهنا تتجلّى الحقيقة التي يغفلها كثيرون:

أن أعظم تعظيمٍ للمواسم ليس في تضخيم الحركة فيها، بل:

١. في أن لا نعود بعدها إلى اللَّهو القديم،

٢. ولا إلى التساهل السابق،

٣. ولا إلى منطق "انتهى الشهر"،

فالقلب الذي لا ينهار بانتهاء رمضان هو القلب الذي فهم رمضان على حقيقته.

ليس المقصود أن تستوي الأيام في الفضل، ولا أن تزول خصوصية الأزمنة، بل:

- أن تستوي المراقبة،
- وأن يبقى الميزان واحدًا،
- وأن لا يحتاج العبد إلى موسمٍ ليُذكّره أن الله يراه،

لأنَّ هذا المعنى قد استقرّ في قلبه أصلًا.

وهكذا يُختم باب رمضان كما ينبغي،

- لا بسؤال: ماذا ربحت هذا الشهر؟
- بل بسؤال أعمق: من أصبحت بعده؟

١. فإن خرجتَ منه وأنت تحتاج موسمًا آخر ليضبطك، فاعلم أن البناء لم يكتمل،

٢. وإن خرجتَ منه وقلبك يسير على وتيرة واحدة، يختار الله في الخلوة كما في الجلوة، فقد مسَّك من رمضان جوهره، لا صورته.

فالمواسم هدايا، لكنها ليست **عكّازات دائمة**، ومن حُسن هدية الله لعبده أن يُغنيه عنها بقلبٍ حيّ، فإذا جاءت المواسم، جاءت لتزيده قربًا، لا لتمنحه

استقامة مؤقّتة، وإذا انقضت، لم تنطفئ الطاعة،

لأن الذي كان يعبد الله في رمضان، قد تعلّم أن يعبده بعد رمضان...

بنفس الصدق، ونفس الحياء، ونفس الاختيار.

المدرسة الدُّريدية... إصلاحٌ لا استعراض، وتوجيهٌ لا وصاية

المدرسة الدُّريدية...

←ليست مشروعَ تزكيةٍ قسرية،

←ولا محاولةً لتطويع الناس على صورةٍ واحدة،

←ولا خطابًا يُمسك العصا قبل أن يُمسك القلب،

←وليست رؤيةً تختزل الإنسان في سلوكٍ يحتاج ضبطًا قبل أن تراه:

١. روحًا تحتاج وعيًا،

٢. ونفسًا تحتاج رحمة،

٣. وقلبًا يحتاج أن يُعرَف ربّه على وجهٍ صحيح.

هي مدرسة إصلاحٍ هادئ، تنطلق من يقينٍ راسخٍ لا يتزعزع، أن القلوب:

- لا تُفتح بالقوة،
- ولا تُربّى بالخوف،
- ولا تُصلَح بالأوامر المجرّدة،

وأن التغيير الحقيقي...

١. لا يبدأ من الضغط بل من البصيرة،

٢. ولا يستقيم بالقسر، بل بالاقتناع الصادق،

٣. ولا يثبت بكثرة التوجيه، بل بعمق الفهم.

في هذه المدرسة...

←نوقظ الوعي قبل أن نُكثِر التكاليف،

←ونُعيد ترتيب البوصلة قبل أن نُحصي الخطوات،

←ونُعالج الخلل في الداخل قبل أن نُحمِّل الجوارح مزيدًا من الأعمال،

لأن التجربة – نصًّا وواقعًا – أثبتت:

١. **أن العمل إذا سبق الوعي أثقل،**

٢. **وإذا سبق الإصلاح أنهك،**

٣. **وإذا انفصل عن الفهم تحوّل إلى عادةٍ صالحة في ظاهرها، فارغة في أثرها.**

❖ لستُ من دعاة قطيعة،

❖ ولا من أرباب تصنيف،

❖ ولا من حرّاس بوابات نجاة،

❖ ولا من وكلاء حكمٍ على القلوب،

بل...

١. أنا **مذكِّر لا مُهيمن**، أضع النور على الطريق ولا أجرُّ أحدًا إليه،

٢. أكشف **العوائق** كما هي دون تزيينٍ ولا قسوة،

٣. وأُسمّي **الأشياء** بأسمائها دون مواربة،

٤. ثم أترك للإنسان شرف اختياره ومسؤوليته كاملة،

كما أراد الله تعالى له أن يختار ويُحاسَب، لا أن يُساق ولا أن يُدفَع.

في منهجي...

←لا أخاطب القلوب بمنطق «افعل وإلّا»،

←ولا أبني الطاعة على التهديد،

بل أقول:

١. افهم أولًا،

٢. وتأمّل جيداً،

٣. وانظر بصدقٍ في نفسك ونواياك، ثم اختر،

- لأنَّ الطاعة التي تُبنى على الفهم أبقى،
- والمسار الذي يُسلك عن وعيٍ أصدق،
- والقرب الذي يأتي بالاقتناع أرسخ وأدوم.

وأؤمن...

←أن الطاعة التي تنبع من الداخل أثبت من طاعةٍ تُدار من الخارج،

←وأن القلب إذا صلح بصدق، وتعرّف إلى الله معرفةً صحيحة، تبعته الجوارح بلا صراخ ولا صدام، وبلا حاجة إلى رقابةٍ دائمة أو ضغطٍ مستمر..

لأن القلب إذا امتلأ بمعرفة الله، وتعظيمه، ومحبته، ومراقبته، صلح ما حوله.

ولا أقيس نجاح هذا الطريق...

←بعدد المتابعين،

←ولا بارتفاع الصوت،

←ولا بسرعة النتائج،

←ولا بضجيج الأثر،

١. بل بعمق التحوّل،

٢. وصدق النيّة،

٣. وبما يبقى بعد انقضاء المواسم، حين تهدأ الخطابات، وتسقط الحماسة، ويظهر ما استقرّ حقًّا في القلوب.

في المدرسة الدردية...

←أزرع ولا أساوم على الثمرة،

←وأُصلِح ولا أُخاصِم النتائج،

←وأُذكِّر ولا أملك القلوب،

١. لأنَّ القلوب ليست بيدي،

٢. ولا الهداية بقلمي،

٣. ولا التوفيق بجهدي وحده؛

بل الاختيار للعبد، والهداية من الله، والقبول فضلٌ محض من الله تعالى، والثمار -كلّ الثمار - أتركها لله تعالى، لأنه وحده سبحانه يعلم:

- متى تنضج القلوب،
- وكيف تنضج،
- ولِمَن،
- وعلى أي صورة.

- **فإن كان في صحيفتي فردٌ واحد قد اهتدى،**
- **أو قلبٌ واحد قد أفاق،**
- **أو إنسانٌ واحد عاد إلى الله تعالى بصدق،**

فأنا - والله - على خيرٍ عظيم... وما هذا كلّه إلا ابتغاء وجه الله تعالى، وأسأل الله القبول، والإخلاص، وحُسن الختام.

تمَّ هذا الكتاب بحمد الله وتوفيقه،

فما كان فيه من صوابٍ أو هدايةٍ أو نفعٍ

فمن فضل الله وحده،

وما كان فيه من خطأٍ أو تقصيرٍ أو سهو

فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله لي ولكم.

وأُنوِّه أحبتي... أن هذا الكتاب صدقةٌ جارية عنّي، وعن

زوجتي، وعن أمة الإسلام جميعًا، أحيائها وأمواتها،

سائلًا الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه،

وأن ينفع به من قرأه أو عمل به، وأن يتقبّله قبولًا حسنًا،

وأن يجعله شاهدًا لنا لا علينا يوم نلقاه.

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

دريد إبراهيم الموصلي

٤ – رجب – ١٤٤٧ هـ

الموافق: الأربعاء: ٢٤ – ١٢ – ٢٠٢٥

المحتويات